جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى بعد إسلامه "دراسةٌ بلاغيَّةٌ موازنةٌ"

The two letters of the Prophet (peace and blessings be upon him) to Al-Mundhir ibn Sawa after his conversion to Islam - a comparative rhetorical study

إعداد

أحمد عبد اللطيف أحمد الخويسكي

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الرابع-نوفمبر)

(الجزء الأول (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى بعد إسلامه
"دراسةٌ بلاغيّةٌ موازنةٌ"

أحمد عبد اللطيف أحمد الخويسكي

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

البريد الإلكتروني :*ahmedelkhwesky361@gmail.com*

الملخص:

تهدف الدِّراسة إلى الكشف عن سمات بيان النبوَّة في رسالتي النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى (أمير البحرين) بعد إسلامه، من خلال الموازنة والتحليل البلاغيّ لمواطن الاتفاق والانفراد بين ابتداء الرِّسالتين، ومقاصدهما، وخواتيمهما، حيث أرسل النبي(ﷺ) إلى المنذر رسالتين بعد إسلامه، مُفصحًا له عن بعض أركان الدِّين وأسسه التي يقوم عليها، من الشهادتين، والصَّلاة، واستقبال القبلة، والجزية، فضلًا عمَّا يقوم عليه الدين من مبادئ وقيم، كالنُّصح والإرشاد، والتوجيه والطَّاعة.

كما أفصَحَت رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر عن بعض الأمور التي تَهمُّ المسلمين الذين أسلموا، والتي منها: ترك أموالهم معهم التي أسلموا عليها، مع عفوه (ﷺ)عن ذنوبهم التي فعلوها قبل إسلامهم، فضلًا عن تكريم المنذر وإبقائه أميرًا للبحرين.

وخلصت الدِّراسة إلى عدة نتائج، منها: اتفاق رسالتي النبي(ﷺ) إلى المنذر في الاستهلال بالبسملة، والنصِّ على المُرْسِل والمُرْسَل إليه، والسَّلام على المنذر ومن معه، ثم الحمد والثَّناء على الله؛ تيمنًا وتبركًا، بينما انفردت الرِّسالة الأولى في الاستهلال بالنَّصِّ على الشهادتين بعد الاستهلال المذكور؛ لأنَّ الشهادتين أول أركان الإسلام، وهذه الرِّسالة أول رسالة أرسلها النبي(ﷺ) إلى المنذر بعد إسلامه، فلا بدَّ من النصِّ على الشهادتين، أيضًا انفردت الرِّسالة الأولى بأربعة مقاصد، بينما انفردت

الرِّسالة الثانية بمقصدين، كما اتفقت الرِّسالتان في فرضية الجزية، وانفردت الرِّسالة الثانية بالسَّلام في نهايتها دون الرِّسالة الأولى؛ لكون الرِّسالة الثانية استكمالًا للرِّسالة الأولى في الفرائض والأحكام.

الكلمات المفتاحية: المنذر بن ساوى – بعد إسلامه – دراسةٌ بلاغيَّةٌ موازنةٌ – رسالتا النبي(ﷺ).

The two letters of the Prophet (peace and blessings be upon him) to Al-Mundhir ibn Sawa after his conversion to Islam - a comparative rhetorical study

Ahmed Abdel Latif Ahmed Al-Khuwaiski

Lecturer of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Arabic Language in Itay Al-Baroud

Email: *ahmedelkhwesky361@gmail.com*

Abstract:

The study aims to reveal the features of the prophetic statement in the two letters of the Prophet (peace be upon him) to Al-Mundhir ibn Sawa (the Emir of Bahrain) after his conversion to Islam, through balancing and rhetorical analysis of the points of agreement and distinction between the beginning of the two letters, their purposes, and their endings, as the Prophet (peace be upon him) sent two letters to Al-Mundhir after his conversion to Islam, explaining to him some of the pillars of the religion. Its foundations, which include the two testimonies of faith, prayer, facing the qiblah, and the jizya, in addition to the principles and values upon which the religion is based, such as advice, guidance, direction, and obedience.

The two letters of the Prophet (peace and blessings be upon him) to Al-Mundhir also revealed some matters that were important to the Muslims who had converted to Islam, including: leaving with them their money that they had converted to Islam, and his (peace and blessings be upon him) pardoning them for the sins they had committed before their conversion to Islam, in addition to honoring Al-Mundhir and keeping him as the Emir of Bahrain.

The study reached several conclusions, including: the agreement of the two messages of the Prophet (peace and blessings of God be upon him) to the warner in opening with the Basmalah, and the mention of the sender and the one to whom the message was sent, and peace be upon the warner and those with him, then praise and thanks to God, as a good omen and blessing, while the first message was unique in opening by mentioning the two testimonies after the aforementioned opening, because the two testimonies are the first pillars. Islam, and this message is the first message that the Prophet (peace and blessings of God be upon him) sent to Al-Mundhir after his conversion to Islam, so it is necessary to state the two testimonies. Also, the first message was unique in four

objectives, while the second message was unique in two objectives. The two messages also agreed on the obligation of the jizya, and were unique in The second letter ends with peace, unlike the first letter, because the second letter is a continuation of the first letter in terms of duties and rulings.

Keywords: ***Al-Mundhir ibn Sawa - after his conversion to Islam - a comparative rhetorical study - the two messages of the Prophet (peace be upon him).***

المقدمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، هادي النَّاسَ إلى الطَّريق المستقيم، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتم النبيِّين، ورحمة الله للعالمين، صاحبِ الحوضِ المورود، واللِّواءِ المعقود، أفصحِ العربِ لسانًا، وأبلغِهم حجَّةً وبيانًا، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمعلومٌ أنَّ السُّنَّةَ النبويَّةَ المطهَّرةَ هي الأصلُ الثَّاني بعد القرآنِ الكريمِ في التشريع والاستنباط، وهي المُبَيِّنةُ لِمَا فيه، والمُفَصِّلةُ لمجمله، لذا كان البحثُ في بلاغة كلام المصطفى(ﷺ)، وبيان مراده شرفًا ما بعده شرف؛ لكونه(ﷺ) خاتمَ النبيين، ورحمةً للعالمين، فضلًا عن أنَّه(ﷺ) معصومٌ، فمنطقه ليس عَنْ هوى، وإنَّما وحي يوحى، فأسلوب النبي(ﷺ) فَاقَ كلَّ أسلوبٍ بعد القرآن الكريم، ولسانُهُ(ﷺ) أعجز كُلَّ لسانٍ؛ لكونه أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

وقد حاولتُ جاهدًا البحثَ عن موضوعٍ يَخدمُ السُّنة النبوية المُطهَّرة، ويُفصحُ عن مراد النبي(ﷺ) في بيانه النبوي الشريف، فاهتديتُ إلى تلك الرِّسائل التي أرسلها النبي(ﷺ) إلى المسلمين الذين دخلوا في دين الله(ﷻ)، حيث كان من بين تلك الرَّسائل رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى (أمير البحرين) بعدما أسلم؛ لذا جاء عنوان البحث: رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى بعد إسلامه "دراسةٌ بلاغيَّةٌ موازنةٌ"، ولم أقف على دراسات سابقة لهذه الرَّسائل التي كتبها النبي(ﷺ) إلى المنذر بعد إسلامه بالدِّراسة البلاغية- فيما اطلعت-، فضلًا عن الموازنة بين تراكيبها، فكان ذلك دافعًا إلى البحث والدِّراسة لهذا البيان النبوي الشريف، مع الوقوف على ما خفي ودقَّ من معانٍ ودلالات غائرة مطوية، بحيث لا تنكشف إلا بإعمال الوسائل البلاغيَّة المختلفة.

وتتمثل أهمية الموضوع في بيان بلاغة النبي(ﷺ) في تلك الرِّسالتين، مع بيان وجوه الاتفاق والافتراق بين الرِّسالتين، وما أفصحت عنه من أركان الدين وأسسه التي قام عليها، وذلك بعدما أرسل (ﷺ) (العلاء الحضرمي) إلى المنذر بن

ساوى برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، فأسلم، وأرسل رسالة إلى النبي(ﷺ) يخبره فيها بإسلامه، ويسأله عمَّا يصنعه في أهل البحرين، فكانت تلك الرَّسالتان التي بين أيدينا بمثابة الرَّد من النبي(ﷺ) على رسالة المنذر، وفيها بعض الأمور التي تخصُّ أهل البحرين من أسلم منهم، ومن لم يُسلم، فهذه الرَّسائل لا بد أن تكون محلَّ اهتمام ودراسة؛ لبيان الهدف منها، والإفصاح عن مضمونها، مع محاولة استخراج اللطائف والأسرار البلاغية المكنوزة بداخلها.

كما تعتبر هذه الرِّسائل نموذجًا من رسائل النبي(ﷺ) إلى المسلمين الذين دخلوا في الإسلام؛ لأن المُنذر من الأمراء الذين أسلموا، ودعا قومه إلى الإسلام.

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ما يأتي:

أولًا: خدمةُ السُّنةِ النبويةِ المطهَّرةِ، بدراسة كلام سيِّد الخلق(ﷺ)، فهذا شرف ما بعده شرف، فضلًا عمَّا في تلك الدِّراسة من الإمتاع النَّفسي والرُّوحي.

ثانيًا: إخراج الرَّسالتين في ثوبٍ بلاغي؛ تعظيمًا لشأن بيانه الشريف(ﷺ).

ثالثًا: محاولة الكشف عن بيان مراد النبي(ﷺ)، مع العكوف على تلك الرِّسالتين بالدراسة البلاغية الموازنة، والإفصاح عن مواطن الاتفاق والافتراق بين الرِّسالتين.

رابعًا: عدم وجود دراسة بلاغية حول الرَّسالتين محل البحث- فيما أعلم.

خامسًا: منزلة (المنذر بن ساوى)، فهو من الأمراء الذين أسلموا.

سادسًا: إثراء المكتبة العربية ببحث يتحدث عن رسائل النبي(ﷺ) إلى المسلمين.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

أما **المُقدِّمةُ**، فقد اشتملت على أهميةِ الموضوع، ودوافع اختياره، والخُطةِ المُتبعة فيهِ، ومنهجِه.

وأما **التمهيدُ**: فاشتمل على:

أولًا: تعريف الرِّسالة.

ثانيًا: نُبذة عن المنذر بن ساوى، ودولة البحرين.

ثالثًا: تنوُّع رسائل النبي(ﷺ) إلى غير المسلمين، والمسلمين.

رابعًا: نَصُّ الرِّسالتين محلُّ الدِّراسة، والمناسبة والمقصد منهما.

وأمَّا مباحث البحث، فهي كالآتي:

المبحثُ الأولُ: براعةُ الاستهلال في ابتداء النبي(ﷺ) رسالتيه إلى المنذر.

وفيه مطلبان:

المطلبُ الأولُ: بيانُ ما اتفقت فيه الرِّسالتان من براعة الاستهلال.

المطلبُ الثاني: بيانُ ما انفردت به الرِّسالتان من براعة الاستهلال.

المبحثُ الثاني: بلاغةُ البيان النبوي في الإفصاح عن مقاصد الرِّسالتين.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلبُ الأولُ: بيانُ ما انفردت به الرَّسالة الأولى من مقاصد.

المطلبُ الثاني: بيانُ ما انفردت به الرَّسالة الثانية من مقاصد.

المطلبُ الثالثُ: بيانُ ما اتفقت فيه الرِّسالتان من مقاصد.

المبحثُ الثالثُ: بلاغةُ البيان النبوي في ختام رسالتيه(ﷺ) إلى المنذر.

ثم الخاتمة والفهارس.

وأمَّا عن المنهج المُتَّبع، فقد اعتمدت الدِّراسةُ في سيرها على منهج (الموازنة) بين أجزاء الرِّسالتين، من خلال الإبانة عن مواطن الاتفاق والانفراد بين الرِّسالتين في البدء والمقصد والختام، مع بيان ما اشتملت عليه الرِّسالتان من

أساليب بلاغيَّة أفصحت عن مراد النبي (ﷺ) في الرِّسالتين، كما اعتمدت الدِّراسة على توثيق الرِّسالتين من المصادر المختلفة، مع مراعاة الجمع بين الروايات المتنوعة بالزِّيادة والنُّقصان، وبيان ما فيها من لطائف وأسرار.

***

تـــمـهـــيـــدٌ

ويشتمل على:

أولًا: تعريف الرِّسالة.

ثانياً: نُبذة عن المنذر بن ساوى، ودولة البحرين.

ثالثاً: تنوع رسائل النبي(ﷺ) إلى غير المسلمين، والمسلمين.

رابعاً: نَصُّ الرِّسالتين محلُّ الدِّراسة، والمناسبة والمقصد منهما.

أولًا: تعريف الرِّسالة.

الرِّسالة في اللُّغة:

من الإرسال، وهو التوجيه والانبعاث في موضوع معين، سواء أكان ذلك مكتوبًا في رسالة، أم مبعوثًا على لسانِ رسولٍ، والرِّسالةُ مشتقةٌ من الفعل (رَسَلَ)، فـ " الرَّاء، والسِّين، واللّام أصلٌ واحدٌ مُضطردٌ مُنقاسٌ، يدلُّ على الانبعاث والامتداد"(١)، وجَمعُ الرِّسالة: الرَّسائل، وتطلق بمعنى الرَّسول، وسُمِّي الرَّسُول رَسُولًا؛ لأنه ذو رِسَالة، والرَّسول: اسم من أَرسلت وكذلك الرِّسالة، والاسم الرِّسالة والرَّسالة والرَّسُول والرَّسِيل(٢).

الرِّسالة في الاصطلاح:

هي عبارة عن قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعًا لمشيئة الكاتب والغرض منها، وتكون كتابتها بعبارةٍ بليغةٍ وأسلوبٍ حسنٍ، وألفاظٍ منتقاة، ومعانٍ طريفة، وقد يتخللها بعض الآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، أو بعض الأمثال والشِّعر(٣)، كما أنَّها " وسيلة التخاطب، فإنها تبدو بديلًا عن الأقوال

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة: (ر / س / ل)، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون.

(٢) ينظر: لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، مادة: (ر / س / ل)، دار صادر بيروت، ط الأولى، بدون.

(٣) ينظر: الأدب العربي في الأندلس، لعبد العزيز عتيق، صـ ٤٤٨، دار النهضة العربية بيروت، ط الثانية ١٩٧٦م.

التي يمكن أن يتبادلها مخاطبان أثناء الحوار"[١]، وأيضًا هي المعاني التي تنتقل إلى العقل المدرك من خلال رموز لغوية، أو وسائل توصيلية أخرى[٢].

وقد تطوّر الخطاب النثري مع تطور الحياة الحضارية، فضلًا عن مجيء الإسلام، فـ "قد تطور الخطاب النثري في الأدب العربي مع تطور الحياة العقلية والحضارية للأمة العربية، إذ بمجيء الإسلام ازداد الاهتمام بالكتابة"[٣].

والمقصود بالرَّسالتين موضوع البحث، الرسالتان اللتان أرسلهما النبي(ﷺ) إلى (المنذر بن ساوى) بعد إسلامه، فهو من المسلمين الذين أسلموا آنذاك على يد رَسُولِه(ﷺ)، وهذه الرَّسائل بمثابة الرَّد من النبي(ﷺ) على (المنذر بن ساوى) عن تساؤلاته بعدما أسلم، وعرض الإسلام على أهل البحرين، فمنهم من أحبَّه ودخل فيه، ومنهم من لم يدخل فيه؛ لذا كتب رسالة إلى النبي(ﷺ) يخبره فيها بذلك، وماذا يفعل بعد ذلك؟.

أمَّا الرَّسائل التي أرسلها النبي(ﷺ) إلى الملوك والأمراء قبل إسلامهم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، فليست موضوع البحث؛ لأنها قد سُبقت قبل ذلك بالدِّراسة، بخلاف الرَّسائل التي بين أيدينا، فلم تنل حظًا من البحث والدِّراسة، فوقع النَّظرُ عليها بالبحث والتنقيب والتحليل، ورسائل النبي(ﷺ) إلى أهل الإسلام كثيرة ومتفرقة في كتب السَّير والتاريخ، مع اختلاف رواياتها بالزيادة والنقصان،- والله ولي التوفيق-.

---

(١) الأدب والأنواع الأدبية، مجموعة من الأساتذة، ترجمة: طاهر حجار، صـ ٢١٩، دار طلاس للدراسات والترجمة- دمشق، ط الأولى ١٩٨٥.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، صـ ١٧٧، مكتبة لبنان – بيروت، ط الثانية ١٩٨٤م.

(٣) مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، د/ مصطفى البشير قط، صـ ٢١، دار الليازوري العلمية الأردن- عمان، الطبعة العربية ٢٠٠٩م.

وتندرج رسائل النبي(ﷺ) ضمن (الرَّسائل الديوانية)؛ لكونها رسائل تخصُّ الدَّولة المسلمة، وأمورها السياسية والدِّينية وغير ذلك، فالرِّسائل الديوانية " تتناول تصريف أعمال الدَّولة وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، ومن الفتوح والجهاد، ومواسم الحج والأعياد والأمان، وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجدب، وعهود الخلفاء لأبنائهم، ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم"(١).

ثانياً: نُبذة عن المنذر بن ساوى، ودولة البحرين.

هو المنذر بن ساوي بن الأخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله العبدي التميمي الدارمي، وكان المنذر أميرًا للبحرين من جهة الفُرس، فكان نائبًا لكسرى في البحرين، وكان نصرانيًا قبل إسلامه، أرسل إليه النبي(ﷺ)(العلاء الحضرمي)(٢)، في السنة (الثامنة) من الهجرة، برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام أو الجزية، فأسلم وأسلم معه جميع العرب بالبحرين، وتوفي المنذر سنة (١١هـ)(١).

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، د/ شوقي ضيف، صـ ٤٦٨، دار المعارف، ط السادسة عشرة، بدون.

(٢) هو العلاء بن عبد الله بن عماد بن ربيعة بن حضر موت، كان من حلفاء بني أمية، ومن سادة المهاجرين، ولد في مكة، وأسلم في بدء الدعوة، وهو من كُتَّاب الوحي، كان فصيح اللسان، قوي البيان، ذا حكمة، ارتبط بالبحرين، وعاش فيها فترة طويلة، كان مقربا للمنذر، يعاونه في تصريف أمور الدولة، وبعد وفاة المنذر ولاّه أبو بكر البحرين، ثم أقره عمر، وقيل استعمله النبي وأقره أبو بكر ثم عمر، واستمر إلى أن مات سنه أربع عشرة، وقيل: إحدى وعشرين من الهجرة.

ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام عز الدين إلب الحسن علي بن محمد الجذري، المعروف بابن الأثير(٥٥٥-٦٣٠هـ)، ، (٤/٧١-٧٢)، دار ابن حزم، ط الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، والإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، ←←←

وكان المنذر صاحبَ عقلٍ وحكمةٍ؛ حيث قَدِم العلاء على المنذر وسلّمه الكتاب، ثم قال له: يا منذر إنّك عظيمُ العقل في الدُّنيا، فلا تصغرن عن الآخرة، إنَّ هذه المجوسيَّةَ شرُّ دين، ليس فيها تكرُّم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم عن أكله، ويعبدون في الدُّنيا نارًا تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب ألا تصدقه؟ ولمن لا يخون ألا تأتمنه؟ ولمن لا يُخلف ألا تثق به؟ فإن كان هذا هكذا، فهو النبي الأمي الذي- والله- لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى

←←←

تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (٤/٤٤٥-٤٤٦)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، د/ محمد آمين شاكر، والشيخ/ عبد الوهاب عبد السلام طويلة، صـ ١٤٦، دار القلم –دمشق، بدون.

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك(تاريخ الطبري) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(٢٢٤-٣١٠هـ)، (١/٤٢٧)، اعتنى به/ أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية بدون، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام عبد الرحمن السهيلي(٥٠٨-٥٨١هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن الوكيل، (٧/٥١٩)، دار الكتب الإسلامية، بدون، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، (١/١١٦٩)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (١/٢٦٣)، دار صادر- بيروت، بدون، وسفراء النبي(ﷺ)، تأليف/ محمود شيت خطاب، (١/١٦٠)، دار الأندلس الخضراء، ط الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، وجمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، لأحمد زكي صفوت، (١/٤٥)، المكتبة العلمية بيروت- لبنان، بدون، وفتوح البلدان، للبلاذي، صـ ٨٥، مكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها: محمد حميد الله، صـ ١٤٤، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، وتاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، د/ محمد سهيل طقوش، صـ ٨٥، دار النفائس، بيروت – لبنان، ط الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م. وأسد الغابة في معرفة الصحابة، (٤/٤١٧)، وعالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، صـ ١٤٤.

عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه أمنية أهل العقل، وفكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي، فوجدته للدُّنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدُّنيا، فما يمنعني من قول دين أمنية الحياة وراحة الموت؟ لقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإنِّ من عظام ما داء به أن يعظم رسوله، ثم قال: أشهد أن ما دعا إليه حق، وأن لا إله إلّا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأكرم منزلة العلاء(١).

والبحرين: الإقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين عمان والبصرة، ويتبعها مجموعة من الجزر في الخليج، فيها عيون ماء عذب، وهجر قصبة البحرين، قيل سميت بالبحرين لوجود بحيرة على باب الإحساء قدرت بثلاثة أميال في مثلها، ماؤها راكد لا يفيض، وللبحرين أهمية تجارية وعسكرية؛ حيث تسير السُّفن القادمة من(الهند) موازية لساحلها، فتقف بها، وتفرغ في موانئها كثيرًا من بضائعها، كما قامت فيها صناعة السُّفن، واشتغل بعض أهلها بالملاحة، فضلًا عن طرقها البرية في الصحراء، حيث كان يُفضِّلُها التجَّار للمرور بقوافلهم التجارية؛ نظرًا لوفرة مياه الآبار بها، فكانت هذه الآبار محطات لتلك القوافل(٢).

---

(١) ينظر: الروض الأنف، للسهيلي، ٥١٩/٧، والسيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي،(ت: ١٠٤٤هـ)، ٣٥٣/٣، دار الكتب العلمية- بيروت، ط الثانية ١٤٢٧هـ.، وعالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، د/ محمد أمين شاكر، صـ ١٤٧.

(٢) ينظر: أسد الغابة، (٤١٧/٤)، وعالمية الإسلام، صـ ١٤٤، والبحرين في صدر الإسلام، د/ عبد الرحمن عبد الكريم العاني، صـ ٥، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، ط الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

وأمَّا عن ديانة أهل البحرين قبل الإسلام، فكانت خليطًا من المعتقدات، كالوثنية، والنَّصرانية، واليهودية، والمجوسيَّة؛ نظرًا لموقعها التجاري وصلتها بالأقطار الأُخرى، فـ(الوثنية) وهي عبادة الأصنام، وأشهر تلك الأصنام: (ذو اللبا... وأوال)، و(النَّصرانية) تسربت إلى البحرين على يد البعثات التبشيرية المسيحية، ومجيء التجَّار النَّصارى والمبشِّرين مع القوافل التجارية، وبقيت النَّصرانية في البحرين حتى بعد الإسلام، يديرون أمورهم وطقوسهم، وتسربت(اليهودية) في البحرين من الخارج عن طريق التجارة والهجرة، فلم تنتشر بين العرب إلا في نطاق ضيق جدًّا، وقد بقي اليهود مقيمين في البحرين بعد الإسلام، يدفعون الجزية، و(المجوسيَّة)، وكانوا عبدةً للنَّار، حيث كان يوجد بيت نارٍ في البحرين، وقد أخذ النبي(ﷺ) الجزية من مجوس هجر، على أن لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، كما أنَّ معظم معتقدي (المجوسية) من الفُرس المقيمين في البحرين، وقد بقي المجوس في البحرين بعد الإسلام يؤدون الجزية، ثم انقرضت، ولم يوجد بيوت نارٍ[(١)].

ثالثًا: تنوع رسائل النبي(ﷺ) إلى غير المسلمين، والمسلمين.

تنوعت رسائل النبي(ﷺ) بحسب مضمونها والهدف منها إلى ما يأتي:

أولًا: رسائل النبي(ﷺ) إلى غير المسلمين- الملوك والأمراء، وغيرهم-، يدعوهم فيها إلى الإسلام؛ حيث أرسل النبي(ﷺ) رسائل إلى أهل الكفر من أمثال: المقوقس والنجاشي، وكسرى ملك الفرس، والمنذر بن ساوى، وغيرهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من ظل على كفره؛ حيث " منَّ الله على بعض الملوك والأمراء الذين أرسل إليهم، فدخل بعضهم في الإسلام، وأسلم معهم قومهم، وردَّ بعضهم ردًّا جميلًا، فأكرموا

(١) ينظر: البحرين في صدر الإسلام، د/ عبد الرحمن عبد الكريم العاني، صـ ٦٤-٧٢.

السُّفراء، وأرسلوا بعض الهدايا، ولم يفحش في الجواب سوى كسرى ملك الفرس"[1]. وهذه الرَّسائل سُبقت بالدِّراسة[2]، كما كتب النبي(ﷺ) أيضًا إلى القبائل نفسها.

ومن الملوك والأمراء الذين أسلموا (المنذر بن ساوي) أمير البحرين، والنجاشي ملك الحبشة، وجيفر وعَبْد ابني الجُلندي أميري عُمان، ورفض الباقون الدُّخول في الإسلام[3].

ثانيًا: رسائل النبي(ﷺ) إلى المسلمين الذين أسلموا، ولم تنل هذه الرَّسائل حظًّا من الدِّراسة؛ حيث كان بعضُها ردًّا من النبي(ﷺ) على رسائلهم إليه، وذلك بعدما دخلوا في الإسلام، فشملت هذه الرَّسائل من أسلم من الملوك والأمراء وغيرهم من القبائل الأخرى، وهذه الرَّسائل فيها تثبيت لدين الله(ﷻ)، والنصُّ على أركان الدين وأسسه الذي يقوم عليها، وكان من بين هذه الرسائل: (رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى)، والتي فيها بيان بعض أركان الدين من النطق بالشهادتين، والصَّلاة، واستقبال القبلة، وغير ذلك، فضلًا عما تضمنته من النُّصح والإرشاد، وغير ذلك من

---

(١) عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، د/ محمد آمين شاكر، صـ ٧.

(٢) ينظر: بحث ترقية بعنوان: رسائل النبي إلى الملوك والأمراء " دراسة بلاغية"، د/ محمد مصطفى ليله، مجلة الزهراء، العدد الثلاثون. وأيضًا: من بلاغة النبي(ﷺ) في رسائله إلى الملوك والأمراء" يدعوهم إلى الإسلام" ، أ٠د/ طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوه، العدد الأول لحولية كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان، ورسالة ماجستير من جامعة زيان عاشور الجلفة، كلية الآداب واللغات والفنون– قسم اللغة العربية وآدابها، بعنوان: السمات الأسلوبية في رسائل الرسول(ﷺ) " رسالتي هرقل وكسرى أنموذجًا" عام ٢٠١٧م.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ(تاريخ ابن الأثير)، للإمام عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني، الشهير بابن الأثير(٥٥٥–٦٣٠هـ)، اعتنى به/ أبو صهيب الكرمي،(٢/٩٥–٩٨)، بيت الأفكار الدولية بدون، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، (٢/٣٠٢)، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط الثامنة١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

أمور الدَّعوة، والحث على طاعة رُسلِ رَسُول الله، وأنَّ من أطاعهم فقد أطاع النبي(ﷺ)، ومن نصح لهم فقد نصح له(ﷺ)، وغير ذلك من الأمور التي تهم المسلمين، فضلًا عن فرضية الجزية على غير المسلمين.

فالنبي(ﷺ) كتب إلى الأمراء الذين أبقاهم على إماراتهم في القبائل، وكتب أيضًا إلى رسله الذين أرسلهم لتعليم الناس شئون دينهم في آفاق الجزيرة(١).

ورسائل النبي(ﷺ)إلى المسلمين كثيرة، يمكن الرجوع إليها في مصادرها المختلفة؛ حيث " اعتنى المسلمون بهذه الرَّسائل قديمًا وحديثًا، نقلًا لألفاظها بالأسانيد الصحيحة في الصدور والسطور، واحتفاظًا بنسخها في أماكن مصونة إلى يومنا هذا، فإن القبائل التي كتب النبي(ﷺ)إلى عظمائها كانت تحتفظ بها تبركًا واعتزازا"(٢).

رابعاً: نَصُّ الرِّسالتين محل الدِّراسة، والمناسبة والمقصد منهما.

أولًا: نصُّ الرِّسالة الأولى من النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى: " بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحمدٍ رسولِ اللهِ إلى المُنْذر بِن سَاوَى، سَلامٌ عَليْكَ، فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلَّا هُو، وأشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا عَبْدُه ورسولُه، أمَّا بَعدُ: فإنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ –عزَّ وَجَلَّ–، فإنَّه مَنْ يَنْصَحْ فإنَّما يَنْصحُ لِنَفْسِه، وإنَّه مَنْ يُطِعْ رُسُلي ويَتَّبِعْ أمرَهُم فَقَدْ أطاعني، ومَنْ نَصحَ لَهُم فَقَدْ نَصَحَ لِي، وإنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا، وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ، فاترُكْ لِلمسلمِينَ مَا أسلَمُوا عَليه، وَعَفوتُ عَنْ أَهلِ الذُّنُوبِ فَاقبَل مِنْهُم، وإنَّك مَهْمَا تَصْلِحْ فَلن نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِك، ومَنْ أَقَامَ على

(١) ينظر: تاريخ الأدب العرب، (العصر الإسلامي)، د شوقي ضيف، (١٣٢/٢)، دار المعارف بمصر، ط السابعة ١٩٦٣م.

(٢) عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، د/ محمد آمين شاكر، صـ ٨–٩.

مَجُوسيَّة أو يهوديَّة فَعَلَيْهِ الجِزْيَةُ"(١).

ثانياً: نصُّ الرِّسالة الثانية من النبي (ﷺ) إلى المنذر بن ساوى: " بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحمدٍ رسولِ اللهِ إلى المُنْذر بِن ساوى، سَلامُ الله عَليْكَ، فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الَّذي لَا إلهَ إلَّا هُو، أمَّا بَعدُ: فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي وسَمِعتُ مَا فِيهِ، فَمَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنا، وأكَلَ ذَبِيحتَنا، فَذَلِكَ المُسلِمُ الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ، والسَّلامُ عَلَيْكُم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكاته، يَغفِرُ اللهُ لَك"(٢).

هناك رواية أخرى للرِّسالة الثانية، للقلقشندي، نصُّها: "سَلِّم أنْتَ، فَإنِّي أحمدُ إلَيْكَ الله الذي لا إلهَ إلّا هُو، أمَّا بعد: فإنَّ مَنْ صَلَّى صلاتَنَا واسْتَقبلَ قِبْلَتَنَا وأَكَلَ ذَبيحَتَنَا، فَذلِك المُسْلِم لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول؛ فَمَنْ أحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإنَّهُ آمنٌ، وَمَنْ أبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ"(٣).

كما يوجد روايات أخرى بها حذف وزيادة، وتقديم وتأخير، وغير ذلك، نذكره في موطنه – إن شاء الله–.

---

(١) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، للإمام محمد بن طولون الدمشقي(٨٨٠–٩٥٣هـ)، راجعه/ عبد القادر الأرنؤوطي، وحققه/ محمود الأرنؤوطي، صـ ٦٠–٦١، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ– ١٩٨٧م، وسفراء النبي(ﷺ)، صـ ١٦٤، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، صـ ١٤٦، وعالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، د/ محمد آمين شاكر ، صـ ١٤٧، وكتاب صبح الأعشى، تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، (٦/ ٣٦٧–٣٦٨)، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٣هـ– ١٩١٥م، بدون، وجمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، لأحمد زكي صفوت، (٤٦/١).

(٢) سفراء النبي(ﷺ)، محمود خطاب، صـ ١٦٨–١٦٩، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، صـ ١٤٨، وينظر: كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي، (٣٧٦/٦).

(٣) كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي، (٣٧٦/٦).

ثالثًا: مناسبةُ الرِّسالتين والمقصد منهما.

أمَّا مُناسبة الرِّسالتين: فقد جاءتا جوابًا من النبي(ﷺ) عن تساؤلات (المنذر بن ساوى) في رسالته التي أرسلها إلى النبي(ﷺ)، وقد أرسل إليه (ﷺ) قبل ذلك (العلاء الحضرمي) برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، ونصُّها: " بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، مِنْ مُحمَّدٍ رَسولِ اللهِ إلى المُنْذِرِ بِنْ ساوَى، سَلامٌ على مَنْ اتبَعَ الهُدى، أمَّا بَعدُ: فإنِّي أدعُوكَ إلى الإسلامِ، فأسْلِم تَسْلَمْ، يَجْعَل اللهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْك، واعْلَم أنَّ دِيني سَيَظهَرُ إلى مُنْتَهى الخُفِّ والحَافِر"[١].

فأسلم (المنذر بن ساوى)، وأسلم معه جميع العرب في البحرين، أمَّا أهل البلاد من يهود ونصارى ومجوس، فإنهم صالحوا (العلاء والمنذر) على الجزية من كل حالم دينار، وألا تُؤكل ذبائحهم، ولا تُنكح نساؤهم، ولم يكن بالبحرين قتال، فبعضهم أسلم وبعضهم صالح[٢].

ثم كتب (المنذر بن ساوى) رسالة إلى النبي(ﷺ) يخبره فيها بأمره، ويريد منه (ﷺ) جوابًا عمَّا يصنع بعد ذلك، وكيف يتعامل مع من لم يدخل في دين الله، ونصُّها: "أمَّا بعد يا رسول الله، فإنِّي قرأتُ كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث في ذلك أمرك"[٣]، فبعد ما قرأ النبي(ﷺ) رسالة المنذر هذه، سُرَّ بذلك(ﷺ)، وأمر بكتابة تلك الرِّسالتين، والتي هما محلُّ الدِّراسة، يُبيِّن له(ﷺ) فيهما بعض أركان الإسلام وأحكامه.

---

(١) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون الدمشقي صـ ٦٢، وسفراء النبي(ﷺ) صـ ١٦٣-١٦٤، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، صـ ١٤٥.

(٢) ينظر: سفراء النبي(ﷺ)، محمود خطاب ، صـ ١٦٢.

(٣) سفراء النبي(ﷺ)، محمود خطاب، صـ ١٦٦، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، صـ ١٤٧-١٤٨.

وأمَّا مقصد الرِّسالتين:

فالمقصد العام من الرِّسالتين هو الدعوة إلى دين الله(ﷻ)، مع بيان فرائض الإسلام وأسسه التي يقوم عليها، حيث نصَّ النبي(ﷺ) في الرِّسالة الأولى على الشهادتين، وتذكيرُ المنذر بالله(ﷻ)، والنُّصح لدين الله، وطاعة رُسُلِه، فضلًا عن بيان بعض الأمور التي تَخُصُّ المنذر وأهل البحرين، كإبقاء (المنذر) في مكانته أميرًا على المسلمين في البحرين، يستقبل رسائل النبي(ﷺ) وتعاليمه، وينشر دعوته مع (العلاء الحضرمي)، فكل منهما له دوره من الناحية الدَّعوية والسياسية، والفصل بين أمور المسلمين وغيرهم؛ حيث أمر بترك ما أسلموا عليه من الأموال، مع عفوه (ﷺ)عن ذنوبهم التي اقترفوها قبل إسلامهم، أمَّا من بقي على مجوسيته أو يهوديته، فعليه جزية يدفعها للمسلمين.

بينما كان مقصد الرِّسالة الثانية: التأكيد على وصول كتاب المنذر إلى النبي(ﷺ)، مع بيانُ أفعال المُسلم وحقوقه، والإفصاح عن قيمة الجزية، فهذه الرِّسالة مُكَمِّلةٌ للرِّسالة الأولى، حيث ذكر النبي(ﷺ) الشهادتين في الرِّسالة الأولى، وهنا نصَّ على الصَّلاة واستقبال القبلة والأكل من ذبائح المسلمين، فضلًا عن بيان قيمة الجزية التي تؤخذ من المجوس وأهل الكتاب- اليهود والنصارى-؛ ولذلك ختمت تلك الرِّسالة بالسَّلام في نهايتها دون الرِّسالة الأولى؛ إشارة إلى استكمال ما أراده النبي(ﷺ) من أركان وتشريع للمنذر وأهل البحرين في هذا الوقت.

***

المبحثُ الأوَّلُ:

براعةُ الاستهلال في ابتداء النبي(ﷺ) رسالتيه إلى المنذر.

وفيه مطلبان:

المطلبُ الأولُ: بيانُ ما اتفقت فيه الرِّسالتان من براعة الاستهلال.

ويشتمل على ما يأتي:

أولًا: الابتداء بالبسملة.

ثانيًا: النَّصُّ على المُرْسِل والمُرْسَل إليه.

ثالثًا: السَّلام من النبي(ﷺ) على المنذر.

رابعًا: الحمدُ والثَّناء على الله(ﷻ).

المطلبُ الثاني: بيانُ ما انفردت به الرِّسالتان من براعة الاستهلال.

ويشتمل على ما يأتي:

أولًا: النصُّ في الرِّسالة الأولى على الشهادتين.

ثانيًا: الابتداء بالسَّلام مباشرة في رواية للرِّسالة الثانية.

المبحثُ الأوَّلُ: براعة الاستهلال في ابتداء النبي(ﷺ) رسالتيه إلى المنذر.

ابتدأ النبي(ﷺ) رسالتيه إلى المنذر ببراعة الاستهلال، مبتدأ في ذلك بالبسملة، ثم النَّصّ على المُرْسِل والمُرْسَل إليه، ثم السَّلام على المنذر، فضلًا عن الحمد والثَّناء على الله، وهذا فيه اتفاق بين الرِّسالة الأولى والثانية، ثم انفردت الرِّسالة الأولى بذكر الشهادتين، كما انفردت رواية للرِّسالة الثانية بالابتداء بالسَّلام مباشرة، دون ذكر البسملة، ودون النَّصِّ على المُرْسِل والمُرْسَل إليه.

ومطلع الرِّسالتين كالآتي:

مطلع الرِّسالة الأولى، قوله(ﷺ): " بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحمدٍ رسولِ اللهِ إلى المُنْذر بِن سَاوَى، سَلامٌ عَليْكَ، فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلَّا هُو، وأشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا عَبْدُه ورسولُه".

ومطلع الرِّسالة الثانية، قوله(ﷺ):"بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحمدٍ رسولِ اللهِ إلى المُنْذر بِن ساوى، سَلامُ الله عَليْكَ، فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الَّذي لَا إلهَ إلَّا هُو".

وفي رواية أخرى للرِّسالة الثانية عند القلقشندي، ابتدأت بقوله(ﷺ):

"سَلِّم أنْتَ، فَإنِّي أحمدُ إليْكَ الله الذي لا إلهَ إلّا هُو".

المطلبُ الأولُ: بيانُ ما اتفقت فيه الرِّسالتان من براعة الاستهلال.

اتفقت رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى في استهلالهما بعدة أمور:

أولًا: الابتداء بالبسملة.

حيث افتتح النبي(ﷺ) رسالتيه إلى أمير البحرين بالبسملة بقوله(ﷺ):"بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم"، وهذه البسملة في مفتتح الرِّسالتين تدلُّ على التيمن والتبرك بما يكتبه النبي(ﷺ) إلى المنذر، وما تتضمنه من أمور تخصُّ المسلمين، وتُثبِّت دعائم الإسلام في تلك المملكة بعد إسلامه، ودعوته أهل البحرين إلى الإسلام.

والمتأمل في جملة "بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم"، يَلحظُ بناءَها على الحذف والإيجاز، في متعلق الجار والمجرور "بسم"، فهو متعلق بفعل محذوف تقديره : أقول بسم الله، أو متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أول كلامي بسم الله، أو بسم الله أول كلامي[1]، فالحذف دلَّ على سرعة التبرك باسم الله في كل قولٍ وفعلٍ وعملٍ.

كما عبَّر النبي(ﷺ) باسم الجلالة "الله" دون غيره؛ لكونه اسمًا جامعًا لصفات الجمال والجلال والكمال، وهذا الاسمُ علمٌ على الذَّات الإلهية، فلا يُسمّ به أحدٌ إلا الله(ﷻ)، "فهو اسم للموجود الحق، الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المتفرد بالوجود الحقيقي... هذا الاسم أعظم أسماء الله التسعة والتسعين؛ لأنه دالٌّ على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها، حتى لا يشذ منها شيء، وسائر

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري،(ت:٤٦٧- ٥٣٨هـ)، تعليق: خليل مأمون شيحا، (٢٥/١)، دار المعرفة -بيروت، ط الثالثة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، وإعراب القرآن الكريم للدكتور/ محمود سليمان ياقوت، (٢٠/١)، دار المعرفة الجامعية، بدون،

الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني، من علم أو قدرة أو فعل أو غيره، ولأنه أخصُّ الأسماء؛ إذْ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازًا"(١).

كما وصِفَ اسمُ الجلالة "الله" بصفتي "الرَّحمنِ الرَّحِيم"، دلالة على المدح والثَّناء على الله(ﷻ)، وفي مجيء هاتين الصفتين على صيغة المبالغة (فعلان وفعيل)، دلالة على كثرة التفضل والإنعام من الله(ﷻ) على عباده؛ مبالغة في رحمة الله التي وسعت كل شيء، قال تعالى﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، كما أن " أسماء الرَّب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرَّحمن اسمه تعالى، ووصفه، لا تُنافي اسميته وصْفيته"(٢).

وفي التعبير بالوصفين "الرَّحمنِ الرَّحِيم"، دون غيرهما من صفات الله(ﷻ)، إشارة إلى مدى لُطف الله بعباده، و" للإشارة الواضحة التامَّة إلى غلبة جانب الرَّحمة لُطفًا بالعباد"(٣)، لذلك حينما نتطلع أسماء سور القرآن الكريم، نجد أنَّ الله(ﷻ) لَمْ يُسَم سورة بأسمائه الحسنى إلا سورة (الرَّحمن)، إشارة إلى تطمين العباد بتلك الرَّحمة التي هي صفة من صفاته، فضلًا عن تفضله وإنعامه عليهم.

والمتأمل في صفتي "الرَّحمنِ الرَّحِيم"، يلحظ تقديم "الرَّحمن" على "الرَّحِيم"، مع أنَّ الوصفين مشتقان من الرَّحمة، التي هي رقة القلب، إلاّ أنَّ "الرَّحمن" أبلغ من

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمود بيجو، صـ ٤٤-٤٥، بتصرف، مطبعة الصباح، ط الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٢) بدائع الفوائد، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، خرج أحاديثه/ أحمد بن شعبان بن أحمد، (١/٣١-٣٢)، مكتبة الصفا، ط الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٣) الرسالة الكبرى في البسملة، محمد علي الصبان، صـ ١٢٤، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، حبيب يحيى المير، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

"الرَّحيم" في الدلالة على الرَّحمة والعَدْل، "فالرَّحمن على ما قال ابن عباس: أرق من الرَّحيم، يريد أنَّه أبلغ في المعنى؛ لأنَّ الرِّقة والغلظة لا يوصف الله (تعالى) بها، والرَّحمة من الله (تعالى) على عباده ونعمته عليهم في باب الدِّين والدُّنيا... وقيل معنى رحيم: أنَّ من شأنه الرحمة... وأنَّ الرَّحيم مبالغة لِعدوله، وأنَّ الرَّحمن أشدُّ مبالغة؛ لأنَّه أشدُّ عَدْلًا، وإذا كان العدول على المبالغة، فكلما كان أشدَّ عَدْلًا كان أشدَّ مبالغة"(١).

كما أنَّ " الرَّحمن أخصُّ من الرَّحيم، ولذلك لا يسمى به غير الله، والرَّحيم قد يطلق على غيره"(٢)، فالرَّحيم اسم مشترك، وربما سُمِّى به أحد من البشر، بخلاف (الرَّحمن)، فلا يطلق إلا على الله(ﷻ)، فالتقديم هنا من تقديم الخاص على العام، فالرَّحمن خاص والرَّحيم عام.

ثانياً: النصُّ على المُرْسِل والمُرْسَل إليه.

بعد أن استفتح النبي(ﷺ) رسالتيه إلى المنذر بتلك الجملة المباركة، أتبعها بالنصِّ على المُرسِل والمُرْسَل إليه بقوله(ﷺ): "مِنْ مُحمدٍ رسولِ اللهِ إلى المُنْذر بِن ساوى"، فَذَكَر النبي(ﷺ) اسمه قبل المنذر، فابتدأ بالمُرسِل أولًا – وهو النبي(ﷺ)–، ثم المُرْسَل إليه ثانيًا– وهو المنذر بن ساوى–، فحرف الجر "مِنْ" لابتداء الغاية، و"إلى" لانتهاء الغاية(٣)، فالرِّسالتان ابتداؤهما من عند النبي(ﷺ) وانتهاؤهما إلى أمير البحرين.

---

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، (ت ٤٠٠هـ)، تعليق: محمد باسل عيون السود، صـ ٢٢٠– ٢٢١، بتصرف، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط الثالثة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، صـ ٤٧.

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف/ الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د/ فخر الدين قباوة، أ/ محمد نديم فاضل ، صـ ٣٠٨، و ٣٨٥، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ– ١٩٩٢م.

والمتأمل في تلك الجملة يلحظ ذكر اسم النبي "محمد" (ﷺ) متبوعًا بالوصف "رسول اللهِ"، وهذا من تعظيم شأن النبي(ﷺ) ودعوته، بتقييد اسمه بالوصف "رسول اللهِ"، وفيه إشارة إلى أنه(ﷺ) مُرسلٌ من عند الله(ﷻ) لا من عند غيره، كما أنَّ في إضافة الوصف "رسول" إلى اسم الجلالة " اللهِ"، إشارة إلى بيان عظمة وجلال أمر كونه رسولًا من عند الله، فمع كون التكريم دالًّا على تكريم النفس، فإن التعظيم فيه معنىً يبعث في نفس المُرْسَل إليه عظمة رسالة النبي(ﷺ) المستمدة من عظمة وجلال الله(ﷻ)، وهذا مناسب جدًا لتلك الرِّسائل.

والرَّسول في اللُّغة معناه: "الذي يُتابِع أَخبار الذي بعثه، أَخذًا من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً، أَي: متتابعة، وقال أَبو إِسحق النحوي في قوله(ﷻ)حكاية عن موسى وأَخيه: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الشعراء: ١٦)، معناه: إنا رِسالة رَبّ العالمين، أَي: ذَوَا رِسالة رب العالمين"[1]، كما أنَّ "رُسُلَ الله تارة يُراد بها الملائكة، وتارة يراد بها الأنبياء"[2].

ثم بعدما ذكر النبي(ﷺ) اسمه ووصفه (المُرْسِل) أتبعه بذكر المُرْسَل إليه(المُنْذر بِن ساوى)، فعبَّر بحرف الجر "إلى" دون (اللام)؛ إشارة إلى كون تلك الرِّسائل إلى المنذر، وليست له على الاختصاص، حيث ذكر النووي " وأما العنوان فالصواب أن يكتب عليه إلى فلان، ولا يكتب لفلان؛ لأنه إليه لا له إلا على مجازٍ"[3].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، (مادة: ر / س / ل).

(٢) المفردات في غريب القرآن، تأليف/ أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق/ محمد سيد كيلاني،، (كتاب الراء)، صـ ١٩٥، دار المعرفة ، بيروت- لبنان، بدون.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (١٠٨/١٢)، دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط الثانية ١٣٩٢هـ.

وإنما خصَّه بالذِّكر؛ لكونه أميرًا للبحرين؛ تكريمًا وتفخيمًا لشأنه، فخطاب الواحد هنا خطاب للجمع؛ لذلك عبَّر النبي(ﷺ) بحرف الجر "إلى" دون (اللام)؛ لأن (اللام) كما ذكر المرادي من معانيها (الاختصاص)، نحو: الجنة للمؤمن، وهو أصل معانيها[١]، وهذه الرِّسائل ليست له على التخصيص، وإنما إليه وإلى غيره ممن أسلم، كما يُلمحُ هنا اللَّون البديعي (الطباق) بين حرفي الجر "مِنْ... وإلى"؛ لكون "مِنْ" لابتداء الغاية، و"إلى" لانتهاء الغاية، فهذا الطباق يُحدد طرفي الرِّسالة، ابتداءً من النبي(ﷺ) وانتهاءً إلى أمير البحرين، كما يبرز المعنى ويوضحه.

ثالثًا: السَّلام من النبي(ﷺ) على المنذر.

حيث صدَّر(ﷺ) رسالتيه بتحية الإسلام، فقال في الرِّسالة الأولى: "سلامٌ عليك"، بالتعبير بـ (كاف الخطاب)، فحيَّاه بتحية الإسلام؛ لأنه يخاطب مُسلمًا، وربما قال في خطاب المسلمين: السلام على من آمن بالله ورسوله، أمَّا في رسائل غير المسلمين فيقول: سلامٌ على من اتبع الهدى، وربما أسقط السلام من صدر الكتاب[٢].

وجملة "سلامٌ عليك" جملة اسمية تفيد الثبوت والدوام لهذا السَّلام والأمن والاطمئنان في جميع الأزمنة، بخلاف التعبير بالجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث.

فصدَّر النبي(ﷺ) رسالته بهذا الاستهلال الذي له أعظم الأثر في جذب انتباه المخاطب، وبث الطمأنينة في قلبه؛ لكونه حديث عهد بالإسلام، فضلًا عن التنكير في المسند إليه "سلامٌ"، الذي أفاد التكثير والتعظيم؛ نظرًا لشمولية السَّلام واتّساع معانيه؛ فهو دعاءٌ بالسَّلامة والأمان، والنَّجاة، والخير والبركة، كذلك جاء تقديم المسند إليه "سلامٌ"، دون الجار والمجرور "عليك"، فلم يقل النبي(ﷺ): (عليك

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، صـ ٩٦.

(٢) ينظر: كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي،(٦/٣٦٦).

سلام الله)، حتى لا يفيد التقديم التخصيص، أي: تخصيص السَّلام وقصره على ملك البحرين فقط دون غيره، وهذا غير مراد، وإنَّما المراد الدُّعاء بالسَّلامة والأمان والنَّجاة له ولمن معه من المسلمين؛ لذلك عبَّر بحرف الجر "على" في "عليك"؛ إشارة إلى استعلاء هذا السَّلام، وشموليته المنذر ومن آمن معه.

بينما ذكر السَّلام في الرِّسالة الثانية بقوله(ﷺ): "سَلامُ الله عَلَيْكَ"، من خلال تعريف المسند إليه بالإضافة "سَلامُ الله"، دلالة على تفخيم المضاف- وهو السَّلام- وإعلاء لقدره وقيمته، وإشارة إلى تمييزه؛ لكونه دعاء له بالسَّلامة والأمن والاطمئنان، فهنا تنويع في صيغة السَّلام من النبي(ﷺ) على المنذر، حيث جاء مرة بصيغة التنكير في المسند إليه "سلامٌ"، لإفادة التكثير في هذا الدُّعاء، وأخرى بالتعريف في المسند إليه "سَلامُ الله"؛ لإفادة تفخيم شأن المضاف، وهذا التفخيم مستمد من تفخيم المضاف إليه- اسم الجلالة -.

رابعاً: الحمدُ والثَّناء على الله(ﷻ).

انتقل النبي(ﷺ) إلى حمد الله (ﷻ) والثَّناء عليه بعد السَّلام بقوله(ﷺ): "فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلَّا هُو"، وهذه الجملة وما قبلها مما اتفقت فيه ابتداء الرِّسالتين، فهذه جملة اسمية مقترنة بـ (الفاء الفصيحة)، التي أفصحت عن شرط مُقدَّر، تقديره: فإن جاءك سلامي فإني أحمد إليك الله(ﷻ)، أو أنها فاء الاستئناف، حيث استأنف النبي(ﷺ) حمد الله بعد السَّلام على المنذر.

وجاء التأكيد على جملة الحمد من خلال اسمية الجملة، وابتدائها بـ "إنَّ"، وتقديم المسند إليه - ياء المتكلم- على خبره الفعلي "أحمدُ"؛ لإفادة تأكيد الخبر، مع التعبير بضمير المتكلم على سبيل الإفراد؛ لبيان مدى تواضع النبي(ﷺ) في دعوته إلى دين الله(ﷻ)، فضلًا عن تخصيص الخطاب منه(ﷺ) دون غيره؛ لذلك عبَّر بياء المتكلم "فإنِّي أَحمدُ".

كما عبّر(ﷺ) عن خبر إنَّ بالفعل المضارع "أحمدُ"، دلالة على تجدد الحمد والثَّناء، وحدوثه من النبي(ﷺ) حالًا بعد حالٍ، والحمدُ متضمنٌ فعل المحمود؛ لأنَّ "الحمد لا يكون إلَّا عن إحسان، والله حامدٌ لنفسه على إحسانه إلى خلقه"(١).

والحمدُ هو أفضل الدُّعاء كما قال أحد الصحابة: "أفضل الدُّعاء الحمدُ لله؛ لأنه يجمع ثلاثة أشياء: ثناءً على الله، وشكرًا لله، وذكرًا لله"(٢).

وفي تقديم الجار والمجرور "إليك" على المفعول اسم الجلالة "الله"، إشارة إلى الاهتمام بالمخاطب – المنذر بن ساوى– فضلًا عن تخصيصه بالحمد، أي: إليك لا إلى غيرك، حيث ورد في جمهرة رسائل العرب أن حرف الجر "إلى" يحتمل أن يكون على حقيقته، أي: أحمد الله وأثني عليه، وأشكره على ما أنعم به عليك من النِّعم وعلى تحديثك إياها، وكأن النبي(ﷺ) ينوب عن المنذر في حمد الله والثَّناء عليه، ويحتمل أن يكون حرف الجر بمعنى (مع)، أي: أحمد معك الله وأشاركك في شكره والثَّناء عليه؛ لما أنعم بعه عليك من النِّعم(٣)، والمعنيان مرادان ولا تعارض بينهما، فربما أراد النبي(ﷺ) النيابة عن المنذر بهذا الحمد والشُّكر، وربما أراد مشاركته في هذا الدُّعاء والشُّكر لله، فهذا الحمد من النبي(ﷺ) فيه حثٌّ على شكر الله بما أنعم على المنذر من النِّعم والتي أجلها هدايته إلى الإسلام.

وهناك رواية في الرِّسالة الأولى بتقديم المفعول اسم الجلالة "الله" على الجار والمجرور "فإنِّي أحمدُ الله إليك"(٤)، إشارة إلى عموم حمد الله من النبي(ﷺ) للمنذر

---

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، صـ ٦٢.

(٢) إعراب القرآن الكريم، د/ محمود سليمان، (٢٠/١).

(٣) ينظر: جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، (٤١/١). ومن بلاغة النبي(ﷺ) في رسائله إلى الملوك والأمراء ، د/ طلعت عبد الله أبو حلوه، صـ ٨٨٨.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، صـ ١٤٦.

وغيره من المسلمين، وكل نظم أفاد معنى، وهذه هي البلاغة العربية، فالتقديم يعطي معنى، والتأخير يعطي معنى، وهذان المعنيان على اختلاف الروايات لا تعارض بينهما، فالنِّكات البلاغية تتزاحم ولا تتعارض.

كما عبَّر(ﷺ) باسم الجلالة "الله"، في قوله(ﷺ): "فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلـهَ إلَّا هُو"، إشارة إلى كونه اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، فهو اسم جامع لكل صفات الجلال والكمال، فهو" جامع لكل الكمالات المطلقة التي نراها في العزيز والعليم والقادر والباسط والسميع والبصير والغفور والرحيم إلى آخره"[1]، فضلًا عن تفرده بالألوهية؛ لذلك أعقب النبي(ﷺ) اسم الجلالة "الله" بالاسم الموصول "الذي"؛ حيث دلَّ التعريف بالصلة على وجه بناء الخبر، في كونه هو الإله الحق دون غيره، وصلة الموصول جملة "لا إله إلَّا هو"، والتي هي أسلوب قصر بطريق (النفي والاستثناء)، فقصر النبي(ﷺ) صفة الألوهية على موصوف وهو "الله" الذي عبَّر عنه بالضمير المنفصل "هو"، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، وهذا الأسلوب فيه تقرير بالوحدانية، وإفراد بالألوهية، فضلًا عن زيادة التأكيد على قضية إفراد الألوهية لله الواحد(ﷻ).

وربما عبَّر النبي(ﷺ) بهذا الأسلوب-النفي والاستثناء- مراعاةً لحال المخاطب- أهل البحرين-، الذين هم حديثو عهدٍ بالإسلام، فأراد النبي(ﷺ) أن يقطع شكهم في عبادة غير الله(ﷻ)، ويفصح لهم عن حقيقة المعبود الحق دون غيره، فناسبه هذا الطريق من طرق القصر؛ لأنَّ القصر بطريق (النَّفي والاستثناء) يأتي فيما يجهله المخاطب ويشك فيه.

---

(١) آل حم(غافر - فصلت) دراسة في أسرار البيان، للأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبو موسى، صـ ٢٠، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

قال الإمام عبد القاهر موضحًا هذا الأمر: "وأما الخبر بالنَّفي والاثبات نحو: ما هذا إلّا كذا، وإن هو إلّا كذا، فيكون لأمرٍ يُنكرهُ المخاطبُ ويشكُ فيه"(١)، فأسلوب القصر من أساليب التوكيد العالية في الكلام الذي له منزلته، كما نصَّ على ذلك أ٠د/ صبَّاح دراز(رحمه الله): "ومن الواضح أنّنا لو رَتَّبنا أساليب التوكيد وأدواته ترتيبًا تصاعُديًّا حسب قوة التأكيد، لكان القصر قمَّةً وغايةً، وذلك أنه يفوق؛ لأنَّه يشتمل على جملتين، فهو تركيزٌ شديدٌ في الأسلوب"(٢)، فضلًا عن تنكير المقصور "إله"، إشارة إلى عموم قدرته، وشمولية إرادته(ﷻ) في الأرض والسَّماء.

وهناك رواية فريدة في الرِّسالة الأولى جاءت بـ "فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ غيره"(٣)، فقامت "غير" مقام الاستثناء بـ "إلّا"، والمعنى واحد وهو تقرير الوحدانية لله (ﷻ) دون غيره، فهو الإله الواحد الأحد.

***

(١) دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر، صـ ٣٣٢، مطبعة المدني، ط الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

(٢) أساليب القصر في القرآن الكريم، د/ صبَّاح عبيد دراز، صـ ٩، مطبعة الأمانة، ط الأولى، بدون.

(٣) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، صـ ١٤٦.

المطلبُ الثاني: بيانُ ما انفردت به الرِّسالتان من براعة الاستهلال.

أولًا: النصُّ في الرِّسالة الأولى على الشَّهادتين.

فالرِّسالة الأولى انفردت عن الثانية بالنّصِّ على الشهادتين، في قوله(ﷺ): "وأشهَدُ أنْ لَا إلـهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا عَبْدُه ورسولُه"، وهذا يدل على أنَّ الرِّسالة الثانية استكمال للرِّسالة الأولى في الفرائض والأسس، فاكتفى النبي(ﷺ) بذكر الشهادتين في تلك الرِّسالة؛ لكونها الركن الأول من أركان الإسلام، كما ورد في صحيح البخاري عن عكرمة بن خالد عن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله: " بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إله إلّا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضان"(١)، وإشارة إلى أن هذه الرِّسالة أول رسالة أرسلها النبي(ﷺ) إلى المنذر بعد إسلامه، فكان لابد من النّصِّ على الشهادتين.

فعبَّر(ﷺ) عن الشهادة بالفعل المضارع "أشهَدُ"، إشارة إلى تجدد ترديد تلك الشهادة كل يوم عند رفع الأذان، وفي ترديدها إشعارٌ بقوة الإيمان، وسلامة العقيدة، فضلًا على كون تلك الشهادة هي المرادة عند دخول الإسلام، فلابد من النُّطق بها كما ذكرها النبي(ﷺ) في تلك الرِّسالة.

فالنبي(ﷺ) يُعَلِّم المنذر ومن معه كيفية النُّطق بالشهادتين؛ لذلك نصَّ عليها، فالشهادة الأولى اشتملت على أسلوب القصر بطريق النَّفي والاستثناء "لَا إلهَ إلَّا اللهُ"، إشارة إلى قصر الألوهية على الله وحده دون غيره، فالنبي(ﷺ) يُقرر منهج التوحيد والعبودية من خلال التأكيد على صفة التوحيد، والشهادة بالألوهية لله وحده.

---

(١) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري(١٩٤-٢٥٦هـ)، كتاب الإيمان، (باب: دُعاؤكم إيمانكم)، (١٣/١)، حديث رقم (٨)، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

ثم عطف على الشهادة الأولى شهادة ثانية في قوله(ﷺ): "وأنَّ محمدًا عَبْدُه ورسولُه"، فجاءت الشهادة الثانية من النبي(ﷺ) مؤكدة بـ "أنَّ" وتقديم المسند إليه على المسند، لإفادة التقوية والتوكيد.

والمتأمل في قوله(ﷺ): "وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه"، يلحظ تقديم صفة العبودية على الرِّسالة؛ لكون الخلق جميعهم عباد الله، بما في ذلك رُسُله، وإشارة إلى أنَّ العبودية درجةٌ أقل من الرِّسالة؛ تواضعًا من النبي(ﷺ)، فهو من باب (ذكر الخاص بعد العام)، فالعبودية لله عامَّة، والرِّسالة خاصَّة، يختص بها من يشاء من عباده، كما أن في إضافة "عبد" إلى ضمير المولى(ﷻ)، إشارة إلى التشريف والتكريم للمضاف- وهو النبي(ﷺ)-، ثم ذكر الوصف الثاني "ورسوله" فإضافة الرِّسالة إلى ضمير الحق(ﷻ)، دلالة على التكليف والتشريف بالرِّسالة وتبليغها على أكمل وجه.

ثانياً: الابتداء بالسَّلام مباشرة في رواية للرِّسالة الثانية.

حيث انفردت رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية بالابتداء مباشرة بالسَّلام بقوله(ﷺ): "سَلِّم أنت"، دون ذكر البسملة، ودون النصِّ على المُرْسِلِ وَالمُرْسَلِ إليه، وربما لم يذكر النبي(ﷺ) البسملة ولا المُرْسِلِ وَالمُرْسَلِ إليه؛ لكون تلك الرِّسالة استكمالًا للأولى، فاكتفى بهما في الأولى، وبدأ الثانية بالسَّلام مباشرة في تلك الرواية فقط.

وجملة "سَلِّم أنت"، دعاء من النبي(ﷺ) للمنذر بالسَّلامة والأمان والنَّجاة؛ لِما فيها من السَّلام والسَّلامة والسِّلم، وفي تقديم المسند "سَلِّم" على المسند إليه "أنت"، دلالة على التخصيص والتعيين للمخاطب، أي: أنت دون غيرك، اعتناء بالمخاطب- وهو المنذر-، ورفعة لشأنه وقدره.

***

المبحثُ الثاني:

بلاغةُ البيان النبوي في الإفصاح عن مقاصد الرِّسالتين.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلبُ الأولُ: بيانُ ما انفردت به الرِّسالة الأولى من مقاصد.

وفيه أربعة مقاصد:

المقصدُ الأولُ: التذكيرُ بالله(ﷻ).

المقصدُ الثاني: التأكيد على قضية النُّصح والطَّاعة للرُّسل.

المقصدُ الثالثُ: تكريمُ المنذر وتوليته إمارة المسلمين في البحرين.

المقصدُ الرابعُ: بيانُ أمر مَنْ أسلم من أهل البحرين.

المطلبُ الثاني: بيانُ ما انفردت به الرِّسالة الثانية من مقاصد.

وفيه مقصدان:

المقصدُ الأولُ: التأكيد على وصول كتاب المنذر إلى النبي(ﷺ).

المقصدُ الثاني: بيانُ أفعال المُسلم وحقوقه.

المطلبُ الثالثُ: بيانُ ما اتفقت فيه الرِّسالتان من مقاصد.

المبحثُ الثاني: بلاغةُ البيان النبوي في الإفصاح عن مقاصد الرِّسالتين.

المتأمل في رسالتي النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى، يلحظ حسن تخلصه(ﷺ) من المُقدِّمة إلى مقصود الرِّسالتين بقوله(ﷺ):"أمَّا بَعدُ"، ثم بعدها يذكر(ﷺ) مقاصد كل رسالة من خلال الأساليب البلاغية العالية، التي استخدمها النبي(ﷺ) في الإبانة عن مراده (ﷺ) في كلامه.

كما انفردت كل رسالة عن الأخرى بعدة مقاصد، هذه المقاصد تميز كلتا الرِّسالتين عن بعضهما، وهذا من سمات البيان النبوي الذي به يتميز كلام النبي(ﷺ) عن كلام البشر، بينما نجد اتفاقًا أيضًا بين الرِّسالتين في مقصد أصيل- وهو فرضية الجزية-، وهذا الاتفاق والانفراد في بيان النبي(ﷺ)يحتاج إلى إعمال عقل وموازنة.

وجاء نص مقاصد الرِّسالة الأولى كالآتي:" أمَّا بَعدُ: فإنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ -عزَّ وَجَلَّ-، فإنَّه مَنْ يَنْصَحْ فإنَّما يَنْصحُ لِنَفْسِه، وإنَّه مَنْ يُطِعْ رُسُلي ويَتَّبِعْ أمرَهُم فَقَدْ أطاعني، ومَنْ نَصحَ لَهُم فَقَدْ نَصَحَ لِي، وإنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا، وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ، فاترُكْ لِلمسلمِينَ مَا أسلَمُوا عَليه، وَعَفوتُ عَنْ أَهلِ الذُّنُوبِ فَاقبَل مِنْهُم، وإنَّك مَهْمَا تَصْلِحْ فَلن نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِك، ومَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة فَعَلَيْهِ الجِزْيَةُ".

كما جاء نصُّ مقاصد الرِّسالة الثانية كالآتي:" أمَّا بَعدُ: فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي وسَمِعتُ مَا فِيهِ، فَمَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأكَلَ ذَبِيحتَنَا، فَذَلِكَ المُسلِمُ الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ".

ونصُّ رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية، كالآتي:"أمَّا بعد: فإنَّ مَنْ صَلَّى صلاتَنَا واسْتَقبلَ قِبْلَتَنَا وأَكَلَ ذَبيحَتَنَا، فَذلِك المُسْلِم لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول؛ فَمَنْ أحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإنَّهُ آمنٌ، وَمَنْ أبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ".

المطلبُ الأولُ: بيانُ ما انفردت به الرِّسالة الأولى من مقاصد.

فالرِّسالة الأولى انفردت بأربعة مقاصد، بيانها كالآتي:

المقصدُ الأولُ: التذكيرُ باللهِ(ﷻ).

وذلك في قوله(ﷺ):"أمَّا بعد: فإنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ -عزَّ وَجَلَّ-"، حيث تخلص النبي(ﷺ) من الابتداء إلى المقصود من الرسالة بقوله(ﷺ): "أمَّا بعد"، فعبَّر بحرف الشَّرط "أمَّا"، وهو مؤول بـ " مهما يكن من شيء" فهو قائم مقام أداة الشَّرط وفعل الشَّرط؛ لذلك يجاب عن هذا الحرف بالفاء، وهذه الفاء لازمة بعد (أمَّا)(١).

فالتعبير بـ "أمَّا" دلَّ على التوكيد والشَّرط لِما يأتي بعدها، دون التفصيل؛ لأن التفصيل يحتاج إلى تكرار، وكون ما قبلها متعلقًا بما بعدها، وهي هنا بمثابة الاستئناف، فالنبي(ﷺ) يستأنف بها حديثه إلى المنذر بعد أن مَهَّد قبلها بالسَّلام والحمد في الرِّسالة الأولى والثانية، والنُّطق بالشهادتين في الرِّسالة الأولى فقط، أي: مهما يكن من شيء فإني...

ثم انتقل النبي(ﷺ) إلى المقصد الأول من الرِّسالة بقوله(ﷺ): "فإنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ -عزَّ وَجَلَّ"، فالغرض هو التأكيد على قضية الإسلام، وتثبيت دعائمه عند أهل البحرين، فالنبي(ﷺ) يُذَكِّر المنذر بالله في كل وقت وحين، وذلك باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، حيث ابتدأ(ﷺ) تلك الجملة بـ (فاء الجزاء) "فإنِّي"، الواقعة جوابًا لـ "أمَّا"، فضلًا عن التأكيد على هذا التذكر بـ "إنَّ" واسمها – ضمير المتكم-، وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي "أُذَكِّرُكَ اللهَ"، إشارة إلى الاهتمام والتأكيد على قضية الإسلام، وحرص النبي(ﷺ) على إسلام أهل البحرين المتمثل في إسلام أميرهم؛

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي ، صـ ٥٢٢-٥٢٤.

لثقتهم في عقله، وانقيادهم خلفه نحو دين الله(ﷻ)، فإسلام المنذر نقطة قوة في صفوف المسلمين.

كما عبَّر(ﷺ) عن المسند بالفعل المضارع "أُذَكِّرُ"، دلالة على تجدد هذا التذكر، حتى يكون عالقًا بقلب المنذر وعقله ولسانه، والمراد: تذكيره دين الله- الذي هو الإسلام- وما فيه من فرائض، وأحكام، وحدود، وتشريعات، فيأتي ما أمر الله(ﷻ)، وينتهي عما نهى الله، فضلًا عن التذكير بالجنَّة والنَّار، والثواب والعقاب، فكل تلك المعاني تندرج تحت هذه الجملة الوجيزة التي جاءت في قمَّة البلاغة والبيان، وهذا من (إيجاز القصر)؛ لأنه يتناسب مع من دخل في الإسلام حديثًا، فالتذكير بالله يشمل أمورًا كثيرة، وسيدنا (العلاء الحضرمي) موكل بعد ذلك بتفصيل هذا التذكر، ثم ذكر مفعول التذكر(الكاف) في"أُذَكِّرُكَ" العائدة على المنذر.

ثم عبَّر النبي(ﷺ) عن المراد من هذا التذكر وهو "الله"، واسم الجلالة مرفوع على التعظيم منصوب بنزع الخافض، تقديره: بالله، دلالة على إخلاص العبودية لله وحده دون غيره، فجاء بالاسم الصريح دون الضمير؛ لإفادة التثبيت؛ لكون المنذر حديث عهد بالإسلام، فهذه التأكيدات للإقناع والإمتاع.

كما أن في ذكر اسم الجلالة "الله" أكثر من مرة في مجمل الرِّسالة، مُفصِحٌ عن الهدف من ذلك كله، وهو(عبادة الله) دون غيره، في إيجاز دون تفصيل من النبي(ﷺ)، وكأن النفس السَّوية والفطرة المستقيمة إذا ذُكِّرتْ باسم لله فقط، انزجرت وارتدعت، واهتديت إلى الحق والجادة في كل شيء؛ لذلك ابتدأ النبي هذه الرِّسالة بهذا المقصد.

ثم أعقب(ﷺ) ذكر الله بصفات العظمة والجلال"عزَّ وَجَلَّ"، فهو العزيز ذو الجلال، دلالة على العظمة والسُّلطان والقوة الموجودة في (العزيز)؛ لكونه غالبًا، وفيه إشارة إلى كون العزة في دين الإسلام دون غيره.

المقصدُ الثاني: التأكيدُ على قضية النُّصح والطَّاعة للرُّسل.

وذلك في قوله(ﷺ): "فإنَّه مَنْ يَنْصَحْ فإنَّما يَنْصحُ لِنَفْسِه، وإنَّه مَنْ يُطِعْ رُسُلي ويَتَّبِعْ أمرَهُم فَقَدْ أطاعني، ومَنْ نَصحَ لَهُم فَقَدْ نَصَحَ لِي".

ثم بعد أن ذَكَّرَ النبي(ﷺ) المنذرَ بالله، أعقب تلك الجملة بجملة أخرى مبدوءة بـ (فاء التعليل)، حيث يُعلَّل الغرض من تذكر الله في قوله(ﷺ): "فإنَّه مَنْ يَنْصَحْ فإنَّما يَنْصحُ لِنَفْسِه"، حيث أكد(ﷺ) على قضية النُّصح، وأن النَّصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، من خلال التأكيد بـ "إنَّ" واسمها، والتعبير بـ "مَنْ" الشَّرطية التي تجزم فعلين[1]، والإتيان بفعل الشَّرط "يَنصَحُ" فعلًا مضارعًا؛ دلالة على تجدد النُّصح، فضلًا عن شمولية النُّصح لكلِ ناصحٍ، فالنصحُ لله لا يقتصر على المنذر فقط، وإنَّما عام لكل من يَتَأتَى منه النُّصح.

ثم جاء جوابُ الشَّرط مُقترنًا بـ (فاء الجزاء)، في قوله(ﷺ): "فإنما ينصح لنفسه"، فالفاء رابطة لجواب الشَّرط، فضلًا عن دلالتها على السَّببية؛ لكون الشَّرط سببًا في الجواب، والجواب مسببٌ عن الشَّرط، وإشارة إلى عظمة هذا الأجر من الله؛ لكونه نصح لدين الله، ونشر لدعوته في الأرض، فثواب النُّصح يكون للناصح، فهذه الجملة من النبي(ﷺ) للمنذر على سبيل الحكمة بعد أن ذَكَّرَه بالله(ﷻ)، فضلًا عن اشتمال أسلوب الشَّرط على التشويق وجذب انتباه المخاطب، ومدى حرصه على معرفة الجواب بعد ذكر فعل الشرط، " إذ يتطلع المخاطب عند سماع الشَّرط إلى معرفة جوابه، ويظل مُترقبًا له حتى يقف عليه، فيتمكن في ذهنه"[2].

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف/ محمد محيي الدين عبد الحميد،(٢٢/٤)، دار الطلائع، بدون.

(٢)الحديث النبوي، طرقه وأغراضه، د/ بسيوني فيود، صـ ٨٨، مطبعة الحسين الإسلامية، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

كما خُصَّت النَّفسُ هنا بالنُّصح "فإنَّما يَنْصحُ لِنَفْسِه"، إشارة إلى التذكير بالآخرة، وإفصاح عن أن ثواب هذا النُّصح مما ينفع النفس يوم القيامة، يوم يفر المرء من أخيه، ولا تملك فيه نفسٌ لنفسٍ شيئا، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الانفطار: ١٩).

وعُبِّر عن النُّصح بالفعل المضارع "يَنْصحُ"؛ إشارة إلى تجدد الثواب بتجدد هذا النصح، كما أن (اللَّام) في "لِنفسه" لام الاختصاص[١] والأجْل، أي: لأجل نفسه، فثواب النُّصح له لا لغيره، وفي هذا حث من النبي(ﷺ) على قضية النُّصح لله في كل الأمور الدينية والخلقية والإنسانية.

والمتأمل في جملة "فإنَّما يَنْصحُ لِنَفْسِه"، يلحظ اشتمالها على أسلوب القصر بطريق "إنَّما"، فقصر النبي(ﷺ) صفة النُّصح على النفس دون غيرها، قصر صفة على موصوف قصرًا إضافيًّا (قصر قلب) لمن يعتقد كون النُّصح للغير وليس للنفس، فقلب أسلوب القصر اعتقاد المخاطب، والقصر بطريق "إنَّما" يأتي في الأمور المعلومة التي لا جدال فيها بخلاف (النَّفي والاستثناء)، فضلًا عن أن "إنَّما" تتضمن النَّفي والاثبات معًا، كما قال الإمام عبد القاهر: " اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره"[٢].

ثم عطف(ﷺ) على جملة النُّصح جملة أخرى تتضمن الطَّاعة لِرُسله(ﷺ) بقوله: "وإنَّه مَنْ يُطِعْ رُسُلي ويَتَّبِعْ أمرَهُم فَقَدْ أطاعَنِي"، فالعطفُ للتناسب (والتوسط بين الكمالين)، حيث يؤكد (ﷺ) على طاعة رُسله الذين يبعثهم لتبليغ دين الله،

---

(١) من معاني اللام (الاختصاص)، وهو أصل معاني اللام، ولم يذكر الزمخشري في مفصله غيره (ينظر: الجنى الداني، للمرادي، صـ ٩٦).

(٢) دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، صـ ٣٣٥.

وتعليمهم الأركان والأحكام، وما يتعلق بذلك من جمع الصدقات من المسلمين، والجزية من غير المسلمين.

فجاء تأكيد هذه الجملة من خلال التعبير بـ "إنَّ" واسمها، ثم التعبير عن خبر "إنَّ" بجملة الشَّرط "مَنْ يُطِعْ رُسُلي ويَتَّبِعْ أمرَهُم فَقَدْ أطاعني"، فعبَّر بـ "مَنْ" الشَّرطية، ثم مجيء فعل الشَّرط فعلًا مُضارعًا "يُطع"، دلالة على تجدد الطَّاعة من الرَّعية لِرُسل النبي(ﷺ)، ثم التعبير عن المُطاع بـ "رُسُلي"، ثم عُطِفَ على طاعة الرُّسل اتباع أمرهم "ويتَّبِعْ أمرَهُم"، وهو نوع من الإطناب (ذكر الخاص بعد العام)، تنبيهًا على شأن هذا الخاص-اتباع أمر الرُّسل-؛ لأنَّ طاعة الرُّسل تكون في كل شيء، ويدخل تحته اتباع الأمر، فالنبي(ﷺ) جعل اتباع أمر الرُّسل كأنه شيء آخر غير طاعتهم؛ إشارة إلى خطورة عصيان الرُّسل فيما يأمرونهم به، فضلًا عن التأكيد على قضية اتباع الأمر، فاتباع الأمر من الطَّاعة؛ لذا عطف عليه.

كما أن في الجمع بين الطَّاعة واتباع الأمر دلالة على لزوم الطاعة من الرَّعية لِرُسل النبي(ﷺ) في القول والعمل؛ لأن طاعة رُسُله هي طاعة له(ﷺ)؛ لكون الرُّسل أمناء على الدين، يبلغون دعوة الله كما بينها(ﷺ) لهم؛ لذا جاءت جملة جواب الشَّرط مفصحة عن ذلك في قوله(ﷺ): "فَقَدْ أطاعني"، فاقترن الجواب بالفاء؛ لدخول حرف التحقيق "قد" على الفعل الماضي[1]، فالنبي(ﷺ) يؤكد في تلك الجملة على قضية الطَّاعة لرسلة وولاته في تعاملهم مع النَّاس، حيث يتقبلون منهم كل ما يوجهونهم إليه من تعليمهم أمور دينهم، وجمع الصدقات منهم أو الجزية ، فلابد من إرساء دعائم هذه الأمور، حتى يسود الأمن والمحبة بين الولي والرَّعية.

(١) ينظر: شرح ابن عقيل، (٣١/٤).

وهناك رواية بحذف "إنَّ" واسمها، والابتداء بالواو "ومن يطع رسلي"[١]، ولا شك أنَّ التأكيد بـ "إنَّ" واسمها في بداية الجملة مما له أثر عظيم في لفت انتباه المخاطب وإصغائه إلى إرشاد النبي(ﷺ) وتعاليمه في تلك الرِّسالة، حيث يتلقى الخبر بأكثر من مؤكد، فضلًا عن جملة الشَّرط والجواب.

والمتأمل في جملة "ويَتَّبِعْ أمرَهُم" يلحظ اشتمالها على (المجاز العقلي)، لعلاقة (السَّببية) حيث وقع الاتباع على الأمر، وهو سبب في الاتباع، والأمر هنا مفعول مجازي، فالفعل وقع على مفعوله المجازي.

والأصل: ويتبع رسلي بسبب أمرهم، كما ذكر قبلها "مَنْ يُطِعْ رُسُلي ويَتَّبِعْ أمرَهُم فَقَدْ أطاعني"، فالاتباع لا يقع على الأمر وإنما يقع على صاحبه الذي يأمر، وهذا المجاز فيه دلالة على سرعة التوجه والاتباع من المسلمين تجاه رسلهم، فالاتباع لم يقتصر فقط على الرُّسل، وإنما تجاوز ذلك إلى اتباع الأمر نفسه على سبيل المبالغة في السرعة والاستجابة، وشبيه بهذه الجملة النبوية في التعبير بالمجاز العقلي، مع الاختلاف بين النَّظم في الاثبات والنَّفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ﴾ (الشعراء:١٥١)، قال الزَّمخشري: " جعل الأمر مُطاعًا على المجاز الحكمي، والمراد الآمر"[٢].

ثم لم يكتف النبي(ﷺ) بطاعة رسله واتباع أمرهم، وإنما عطف عليها النُّصح لهم في قوله(ﷺ): "ومَنْ نَصحَ لَهُم فَقَدْ نَصَحَ لِي"، فالعطف بين تلك الجمل الشَّرطية للتناسب بين تلك الأفعال المتوقع صدورها من الرَّعية تجاه رُسل النبي(ﷺ) في "مَنْ يُطِعْ رُسُلي ويَتَّبِعْ أمرَهُم فَقَدْ أطاعني، ومَنْ نَصحَ لَهُم فَقَدْ نَصَحَ لِي"، حيث ابتدأ

(١) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، للإمام محمد بن طولون الدمشقي، صـ ٦٠.
(٢) الكشاف، للزمخشري، (٧٦٧/١).

النبي(ﷺ) تلك الجُمل ببيان طاعة رسله واتباع أمرهم، فضلًا عن النُّصح لهم من خلال التعبير بالجمل الشَّرطية التي فيها تشويق لمعرفة الجواب، وايقاظ للمخاطب بجذب انتباهه، ومدى ترقبه لتلك الأمور التي أخبر بها النبي(ﷺ) في تلك الجمل، فالقضية قضية إخلاص من الرَّعية تجاه وليهم؛ لأنَّ الدين النصيحة.

فالنبي(ﷺ) يؤكد على تلك الأمور الثلاثة، فطاعة الرُّسل واتباع أمرهم هي طاعة للنبي(ﷺ)، وكذلك النُّصح لهم هو نصح له(ﷺ)، فاللام في "فَقَدْ نَصَحَ لِي"، لام (الاختصاص)، فكأن النَّصح لرُسل النبي نصح له(ﷺ) لا لغيره، وهذا المعنى النبوي في قمة البلاغة، ومتشابه مع نظم القرآن ومتأثر به في قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ (النساء: ٨٠)، فكما أن طاعة النبي(ﷺ) هي طاعة لله(ﷻ)، كذلك طاعة رُسُل النبي(ﷺ) هي طاعة له(ﷺ).

وهناك رواية بالتعبير عن فعل الشرط بالمضارع "ومَنْ ينصحَ لَهُم فَقَدْ نَصَحَ لِي)"[1]، والتعبير بالمضارع فيه إشعار بتجدد النُّصح في زمن الحال أو الاستقبال، وبهذا يتحقق هذا النُّصح في زمن المضي والحال والاستقبال، ولا تعارض في المعنى؛ لأن السِّياق يحتمل هذه الدلالات، ولا يوجد مانع لغوي، فهو من باب مجيء جملة الشرط والجزاء جملتان فعليتان[2]، وجاءت الأولى بالفعل المضارع، والثانية بالفعل الماضي.

المقصدُ الثالثُ: تكريمُ المنذر وتوليته إمارة المسلمين في البحرين.

وذلك في قول النبي(ﷺ): " وإنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا، وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ".

---

(١) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، للإمام محمد بن طولون الدمشقي، صـ ٦٠.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل، (٤/٢٧-٢٨).

انتقل النبي(ﷺ) إلى مقصد آخر من مقاصد الرِّسالة الأولى، والتي انفردت به عن الثانية – وهو الثَّناء على أمير البحرين– وذلك من خلال تعامله مع رَسُولِه الذي أرسله إليه(العلاء الحضرمي)، بقوله(ﷺ): "وإنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا"، فأراد النبي(ﷺ) بهذا الثَّناء أن يُطمئن قلب المنذر، وذلك بعد ما سرد (ﷺ) تلك الجمل الشَّرطية التي تُرسي دعائم الإسلام، وتحقق العزةَ والكرامة لرُسُل رسول الله(ﷺ) في تلك الدَّولة.

فابتدأ(ﷺ) بتبشير المنذر بالخير، وتثبيت فؤاده من خلال تلك الجملة المؤكدة بـ "إنَّ"، وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي المقرون بـ "قد"؛ دلالة على تحقق الثَّناء والتأكيد على وقوعه، فضلًا عن مجيء الواو في بداية الجملة التي تحتمل أن تكون (استئنافية)، أو (عاطفة)، وكونها استئنافية أولى؛ لكون ما يأتي بعدها خاص بالمنذر وحده بكونه أميرًا للبحرين ووالِيًا للنبي(ﷺ) في قومه، ثم إضافة رُسُل إلى ضمير المتكلم– النبي(ﷺ)– ؛ لغرض التفخيم والتشريف، فهم ليسوا أي رُسل، وإنَّما هم رُسُلي الذين لهم سمتهم ووقارهم، فضلًا عن تَحرِّيهم الصِّدق، وتجنبهم النِّفاق والكذب.

وجملة الخبر "قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا"، تفصح عن تحقق الثَّناء من الرُّسل على المنذر، حيث عبَّر عن هذا الثناء بالفعل الماضي "أَثْنَوْا" المقرون بحرف التحقيق "قد"، "والثناء مدح مكرر من قولك: ثنيت الخيط إذا جعلته طاقتين"(١)، ثم تقديم الجار والمجرور "عَليكَ" على المفعول "خَيْرًا"، دلالة على تخصيص المنذر بهذا الثناء والعناية به، ولو قال: (قَدْ أَثْنَوْا خَيْرًا عَليكَ)، لتوهم أنهم أثنوا خيرًا عليه وعلى غيره، فالتقديم أفاد التخصيص، وربما دلّ التقديم على تعجيل المسرَّة، والتشويق إلى

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال، صـ ٦٣.

المؤخر، كما أن التعبير بحرف الجر "على" هنا أفاد (المجاوزة)[1]، فهو بمعنى (عنك).

ثم يعطي النبي(ﷺ) المنذر قَدْرَهُ ومكانته في قومه؛ لكونه أميرًا لهم بقوله(ﷺ): "وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ"، فالعطف هنا (للتوسط بين الكمالين)، فقد جعل النبي(ﷺ) المنذر شَفْعًا له في قومه بعدما أخبر بمدحه والثَّناء عليه في قوله: "وإنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا"، فالجملة الثانية مسببةٌ عن الأولى.

كما بُنيت جملة "وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ" على التأكيد بـ "إنَّ" واسمية الجملة، وتقديم اسمها على جملة الخبر؛ دلالة على تخصيص المتكلم بالخطاب، وجذب انتباه المخاطب بكون تلك الرِّسالة منه(ﷺ)دون غيره، حيث يخبر النبي(ﷺ) بأمر قد جذم به في شأن المنذر، فقد جعله شَفْعًا له(ﷺ) في قومه يتولى أمرهم في قوله: "وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ"، فجاء خبر "إنَّ" جملة فعلية مقرونة بحرف التحقيق "قد" التي تفصح عن تحقق الفعل، ثم تقييد هذا الشفع بالجار والمجرور "فِي قَومِكَ".

والمتأمل في جملة " وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ" يلحظ أنَّ التأكيد فيها على قدر التأكيد في جملة "وإنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا"، من حيث التأكيد بـ "إنَّ"، وحرف التحقيق "قد"، والفعل الماضي في "شَفَّعتُكَ... وأَثْنَوْا"، والتقييد بالجار والمجرور "فِي قَومِكَ" الذي يدل على أنه منهم، وهم منه، وهذا أمان بعد أمان سابق للمنذر، فضلًا عن الإضافة في "قَومِكَ" التي تشعر بالطمأنينة والحثِّ على الرفق بهم، وإقامة العدل بينهم، والتعبير بـ "في" ودخولها على "قَومِكَ" دون (في أمور قومك)، دلالة على المبالغة في ولاية المنذر وامتدادها وشمولها؛ لأنَّه حظي بشهادة وثقة رُسل رسول الله، وثنائهم عليه خيرًا.

---

(١) (على) مختلف في اسميتها وحرفيتها، ومن معانيها المجاوزة، (ينظر: الجنى الداني، للمرادي، صـ ٤٧٧).

والمراد بجملة "وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ"، أي: جعلتك شَفْعًا لي في قومك، تتولى أمرهم، وتبلغهم ما أُرسله إليك؛ لأن "الشَّفع خلاف الوَتْر وهو الزوج تقول كانَ وَتْرًا فَشَفَعْتُه شَفْعًا، وشَفَعَ الوَتْرَ من العَدَدِ شَفْعًا صيَّره زَوْجًا"(١)، ويؤيد ذلك مجيء جملة "شَفَعْتك" في روايتين من غير تشديد على الفاء(٢)، والجملة على هذا المعنى تكون على سبيل المجاز بالاستعارة؛ حيث استُعير الشَّفع للولي، الذي يتولى أمر المسلمين في قومه، فصار الولي بذلك شَفْعًا، واشتق من الشَّفع شفع بمعنى (وَلِي) على سبيل الاستعارة (التصريحية التبعية) في الفعل، فالتعبير بالشَّفع فيه تكريم للمنذر، حيث جعله النبي(ﷺ) شَفْعًا له في قومه، يتلقى شرائع الدِّين وأحكامه، ثم يبلغ بها قومه.

المقصدُ الرابعُ: بيانُ أمر مَنْ أسلم من أهل البحرين.

وذلك في قول النبي(ﷺ):"فاترُكْ لِلمسلمِينَ مَا أسلَمُوا عَليه، وَعَفوتُ عَنْ أَهلِ الذُّنُوبِ فَاقبَل مِنْهُم، وإنَّك مَهْمَا تَصْلِحْ فَلن نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِك".

في هذا المقصد يفصح النبي(ﷺ) عن أمور تهم المسلمين الذين أسلموا، وبدأ بعدم سلب أموالهم التي أسلموا عليها، فتركها لهم النبي(ﷺ)، وأمر المنذر بتركها، فضلًا عن إعفائه(ﷺ) عن ذنوبهم التي اقترفوها قبل إسلامهم، وتطمين المنذر بعدم عزله.

فالنبي(ﷺ) حينما جعل أميرَ البحرين شَفْعًا له في قومه، يتلقى منه(ﷺ) الأحكام والتشريعات، بدأ بأمر مهم وهو عدم سلب أموال المسلمين التي أسلموا عليها، في قوله(ﷺ): "فاترُكْ لِلمسلمِينَ مَا أسلَمُوا عَليه"، فالفاء تحتمل أن تكون

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ش / ف/ ع).

(٢) ينظر: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، صـ ٦٠، ومجموعة الوثائق السياسية، صـ ١٤٦.

(تعليلية)، أو (فصيحة)، وكونها فصيحة أولى؛ لأنَّها أفصحت عن شرط مُقدَّر، أي: إن كنت قد بَلَغَتَ هذه المنزلة فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه.

فعبَّر النبي(ﷺ) عن ترك الأموال التي كانت مع هؤلاء المسلمين قبل إسلامهم، بفعل الأمر "اترُكْ" الذي جاء على حقيقته في طلب حصول الفعل على سبيل التكليف والإلزام، دون تأويل، ثم التعبير بمفعول الترك "للمسلمين" الذي جاء مقترنًا بلام الجر التي أفادت (الاختصاص)، حيث وصفهم بصفة الإسلام والاستسلام.

كما عبَّر(ﷺ) عمَّا أسلموا عليه بالاسم الموصول "مَا" الذي أفاد التفخيم والتعظيم لتلك الأموال، فالتعبير بالموصول وصلته "مَا أسلَمُوا عَليه"، دلَّ على كثرة تلك الأموال التي أسلموا عليها، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط المحذوف الذي دلَّ عليه الفاء الفصيحة في "فاترُكْ".

ثم يخبر النبي(ﷺ) المنذر بأمر آخر، وهو التجاوز عن الذنوب التي فعلوها قبل إسلامهم، ويأمر المنذر بقبولهم في قوله(ﷺ): "وَعَفوتُ عَنْ أَهلِ الذُّنُوبِ فَاقبَل منهم"، فالواو هنا لـ (الاستئناف) دون العطف؛ لخصوصية معنى العفو بالنبي الكريم(ﷺ)، ولاختلاف الفاعل في تلك الجملة والتي قبلها، ففاعل العفو هنا هو النبي(ﷺ)، وفاعل الترك في الجملة السابقة "فاترُكْ لِلمسلمِينَ مَا أسلَمُوا عَليه" هو المنذر.

كما عبَّر(ﷺ) عن عفوه عن ذنوبهم التي اقترفوها في جاهليتهم قبل إسلامهم بالفعل الماضي "عَفوتُ" الدالُّ على تحقق هذا العفو منه(ﷺ)، وفي التعبير بـ (العفو) دون (الغفران)، إشارة إلى كون النبي(ﷺ) لا يملك لهم سوى العفو، أمَّا الغفران فخاصٌّ بالملك (ﷻ)؛ لذلك عبَّر (ﷺ) بالعفو دون الغفران، ثم التعبير بحرف الجر

"عَنْ" الذي أفاد المجاوزة[١]، أي: تجاوز النبي(ﷺ) عن ذنوبهم.

ثم عبَّر(ﷺ)عن الذين اقترفوا الذنوب بقوله: "عَنْ أَهلِ الذُّنُوبِ"، دون أصحابها؛ دلالة على كثرة الذنوب التي اقترفوها، ومشعرٌ كذلك بكثرة المقترفين لها، حيث صاروا أهلًا لها، وأنهم يفعلونها غُدوًّا وعَشيًّا، ولا نبعد عن الصواب إنْ قلنا بأن هذا (كناية عن صفة) توغل الذنوب في الموصوف، وفيه دلالة على مجاوزتهم الحدَّ في المعاصي والآثام، فصاروا أهلًا لها، وإشارة إلى أنها كائنة عندهم كينونة الأهل للمنزل، فالتعبير بالأهل أقرب إلى النَّفس من الصَّاحب، وأدلُّ على حال هؤلاء قبل إسلامهم وتماديهم في الذنوب.

والمتأمل لجملة "فَاقبَل منهم"، يلحظ كونها جملة فعلية ابتدأت بالفاء التي تحتمل أن تكون (تعليلية أو فصيحة)، وكونها فصيحة أولى؛ ويكون تقدير الكلام: فإذا كنتُ أنا عفوتُ عنهم، فاقبل أنت منهم هذا العفو أيضًا، وفي ذلك إشارة إلى سماحة النبي(ﷺ) في تعامله مع المسلمين، فعفوه (ﷺ) عن ذنوبهم وقبول ذلك من أميرهم، يجعل إقبالهم على الإسلام إقبال المحب لا المُكره.

وحرف الجر "مِنْ" في "فَاقبَل مِنْهم"، دلَّ على المجاوزة[٢]، فهو بمعنى (عَنْ)، أي: فاقبل عنهم، وهناك رواية "فاقبل لهم"[٣]، فهذه الرواية باللّام، واللّام هنا تفيد (الاختصاص)، وهو اختصاص قبول العفو من أهل الذنوب الذين عفى عنهم النبي

---

(١) (عن) حرف بمعنى المجاوزة، وهو أشهر معانيها، ولم يثبت لها البصريون غير هذا المعنى، فمن ذلك: رميت عن القوس؛ لأنه يقذف عنها بالسهم ويبعده، ولكونها للمجاوزة عُدِّي بها: صَدَّ، وأعرض...(ينظر الجنى الداني، صـ ٢٤٥).

(٢) من معاني حرف الجر (من) المجاوزة، ويكون بمعنى (عن)، نحو قوله تعالى: أطعمهم من جوع، (قريش:٤)، أي: عن جوع، (ينظر: الجنى الداني، صـ ٣١١).

(٣) ينظر: كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي، (٣٦٨/٦).

(ﷺ)، ولا تعارض بين الروايتين؛ لأن قبول العفو يكون منهم ولهم.

ثم يخبر النبي(ﷺ) المنذر بما يُثَبِّتُهُ ويطمئنه أيضًا بقوله(ﷺ): "وإنَّك مَهْمَا تَصْلِحْ فَلن نَعْزِلَكَ"، حيث أكد له النبي(ﷺ) عدم عَزْلِه عن منصبه وعمله بكونه (أميرًا للبحرين)؛ لذا جاءت هذه الجملة مؤكدة بـ "إنَّ" واسمها، فضلًا عن اسمية الجملة الدالة على الثبوت والدوام، ثم التعبير بـ "مهما" الشَّرطية التي بمعنى (متى ما)[1]، أي: متى ما تُصلح في أي وقت، ومجيء فعلها فعلًا مضارعا "تُصلح" دالٌّ على تجدد الإصلاح منه في الحال أو الاستقبال، وفي هذا إشارة إلى ترك مساحة من الوقت للمنذر في الإصلاح، والدَّعوة إلى دين الله وعبادته، مع إقامة العدل بينهم.

ثم جاء جواب "مهما" مُطمْئِنًا بنفي عزل المنذر عن منصبه بقوله(ﷺ): "فَلن نَعْزِلَكَ"، فعبَّر بفاء الجزاء الواقعة في جملة جواب "مهما"، ثم الإتيان بـ "لن" التي هي حرف نفي ونصب، والتعبير عن نفي العزل بالمضارع "تعزلك" الدال على نفي تجدد هذا العزل، ثم التقييد بالجار والمجرور "عَنْ عَمَلك"، للتأكيد على نفي عزله عن عمله القائم به، في كونه أميرًا للبحرين، وهذا من كرم النبي(ﷺ) وعظيم أخلاقه، وهناك نسخة حذف منها القيد بالجار والمجرور، "عَنْ عَمَلك"[2]، فإثبات هذا القيد(الجار والمجرور) للتأكيد والتقييد، وحذفه لا يخل بالمعنى؛ لأنه مفهوم من السِّياق، والعزل يكون عن المنصب والعمل.

وهنا أمرٌ يجب التنبيه عليه في استخلاف النبي(ﷺ) المنذر على أهل البحرين، فربما يتوهم متوهم أن استخلاف (المنذر) معناه الاستغناء عن دور (العلاء الحضرمي) في نشر الإسلام ودعوة أهل البحرين، ولكن كانا معًا، كل له دوره الديني والسياسي، وأنَّه لا غنى عن دور أحدهما دون الآخر في دعوة أهل البحرين، "فقد

---

(١) ينظر الجنى الداني، للمرادي، صـ ٦٠٩).

(٢) ينظر: كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي، (٣٦٨/٦).

كان للعلاء واجبه في الدَّعوة إلى الإسلام، وتثقيف المسلمين الجدد بدينهم، وتعليم القرآن والسُّنة، وجباية الصَّدقات والجزية، وتوزيع الصَّدقات على الفقراء من أهل البحرين، أمَّا المنذر فكان يسوس قومه ويحل مشاكلهم، ويحكم بينهم بالعدل، وكان العلاء والمنذر يحكمان بينهم بالعدل"[١].

***

(١) سفراء النبي(ﷺ)، محمود خطاب، صـ ١٧٠.

المطلبُ الثَّاني: بيانُ ما انفردت به الرِّسالة الثَّانية من مقاصد.

المتأمل للرِّسالة الثانية يلحظ انفرادها بمقصدين جليلين:

المقصدُ الأولُ: التأكيد على وصول كتاب المنذر إلى النبي(ﷺ).

وذلك في قوله(ﷺ):" أمَّا بَعدُ: فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي وسَمِعتُ مَا فِيهِ".

أكد النبي(ﷺ) في تلك الرِّسالة على مجيئ كتاب المنذر إليه(ﷺ)، وهذا مما انفردت به تلك الرِّسالة عن الأولى، وأنه(ﷺ) سمع ما ورد فيه من أمور تخص أهل البحرين، في كون المنذر عرض الإسلام عليهم، وأن منهم من أحبَّه ودخل فيه، ومنهم من كرهه ولم يدخل فيه، وأنه ينتظر ردَّ النبي(ﷺ) في ذلك.

والمتأمل في قوله(ﷺ): "فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي"، يلحظ تأكيد النبي(ﷺ) على وصول كتاب المنذر إليه، من خلال الابتداء بـ (فاء) الجزاء التي تربط بين الشَّرط وجوابه؛ لكون تلك الجملة وقعت جوابًا لـ "أمَّا"، ثم التأكيد بـ "إنَّ" ومجيء اسمها "كِتَابَكَ" بصيغة المصدر، ثم إضافته إلى ضمير المخاطب- المنذر- والإخبار عن "إنَّ" بجملة الماضي "جاءَنِي"، دلالة على تأكيد تحقق مجيء الكتاب في زمن المُضي.

وفي تقديم الكتاب على المجيء في قوله(ﷺ): "فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي"، إشارة إلى تواضع النبي(ﷺ) بتقديم ضمير المنذر في "كِتَابَكَ" على ضميره الشريف(ﷺ) في "جاءَنِي"، فضلًا عن التكريم والتشريف لكتاب المنذر بتقديمه في الذِّكر؛ لأن هذا الكتاب هو المعنيُّ به في هذا السياق؛ لذلك قدَّمه(ﷺ).

كما اشتملت جملة "فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي" على المجاز العقلي الذي علاقته (المفعولية)، فأسند ما بُني للفاعل إلى المفعول، فالنبي(ﷺ) أسند المجيء إلى الكتاب، على أنه فاعل المجيء، وهو في الأصل مفعول به، أي: مجيء به على يد (العلاء الحضرمي)، وفي التعبير بالمجاز العقلي دلالة على تأكيد هذا المجيء، وسرعة وصول الكتاب إلى النبي(ﷺ)، فكأن الكتاب هو الذي جاء بنفسه.

كما يمكن حمل جملة "فَإِنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي" على (الاستعارة المكنية)، حيث شبَّه الكتاب بعاقل يقع منه المجيء، ثم حذف المشبَّه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو المجيء، فالاستعارة شخصت الجماد- الكتاب- في صورة حيَّة يَصْدُرُ منه أفعالًا، والتي منها المجيء؛ إشارة إلى التأكيد على مجيء كتاب المنذر، فضلًا عن سرعة وصوله إلى النبي (ﷺ) مع العلاء.

وفي التعبير بـ (المجيء) دون (الإتيان)، دلالة على كون المجيء مستعملًا فيما فيه شدَّة مصحوبة باليقين دون الشك، فالحق(ﷻ) " لم يأت معه إلّا الفعل جاء في جميع شواهد القرآن الكريم"[(١)]، وذكر أ/ محمد نور الدين، أنَّ المجيء يصحبه تحقق ويقين، بينما الإتيان يصحبه شك[(٢)]، فناسب ما في رسالة المنذر إلى النبي(ﷺ) التعبير بالمجيء، إشارة إلى تحقق هذا المجيء حقيقة، فضلًا عن دقة ما احتوته الرِّسالة من أمور فاصلة في شأن المُنذر وأهل البحرين، وما يترتب على ذلك من رد فعل النبي(ﷺ) إيجابًا وسلبًا.

ثم عطف على خبر إنَّ جملة "وسَمِعتُ مَا فِيهِ"، وهذه جملة فعلية تُفصح عن تحقق سماع النبي(ﷺ) ما جاء في كتاب المنذر حقيقة؛ لكونه(ﷺ) لا يقرأ الرَّسائل وإنما يسمعها بأذنيه الشريفة(ﷺ)، حيث كان عنده كَتَبَة، فوقع التأكيد على وصول كتاب المنذر من خلال (الرُّؤية والسَّمع)، فالرُّؤية من خلال تحقق مجيء الكتاب، والسَّمع من خلال سماع ما جاء فيه من أمور تخص المُنذر وأهل البحرين.

---

(١) الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، د/ محمود موسى حمدان، صـ ٩، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، صـ ١٤٨، دار الفكر دمشق- سورية، ط الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

ثم عبَّر النبي(ﷺ) عمَّا وقع عليه السَّمع بالموصول في قوله(ﷺ): "وسَمِعتُ مَا فِيهِ"، فـ "ما" هنا موصولة تفيد العموم، إشارة إلى تفخيم ما جاء في الكتاب، حيث أفصحت صلة الموصول "فيه" عمَّا جاء في الكتاب من أمور سُرَّ بها النبي(ﷺ)، والتي منها إسلام المنذر ومن أحَبَّ الإسلام من أهل البحرين دون قتال، ومَنْ لَمْ يُسلم صَالَحَ المنذر والعلاء على الجزية.

المقصدُ الثَّاني: بيانُ أفعال المُسلم وحقوقه.

وذلك في قوله(ﷺ):" فَمَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحتَنَا، فَذَلِكَ المُسلِمُ الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا".

وفي رواية القلقشندي" فإنَّ مَنْ صَلَّى صلاتَنَا واسْتَقبلَ قِبْلَتَنَا وأَكَلَ ذَبيحَتَنَا، فَذلِك المُسْلِم لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول".

هذا المقصد أيضًا مما انفردت به الرِّسالة الثانية عن الأولى، ونَصَّت عليه رواية القلقشندي أيضًا، فاتفقت الرِّسالة الثانية مع روايتها في قوله: "مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحتَنَا، فَذَلِكَ المُسلِمُ"، وانفردت الرِّسالة الثانية بجملة "الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا"، بينما انفردت رواية القلقشندي بجملة "لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول"، فهذا الاتفاق والانفراد في الرِّسالة وروايتها فيه من البلاغة والإسرار ما فيه، وفي ذلك إشارة إلى أن القضيةُ قضيةُ أفعالٍ قبل أن تكون قضيةَ صفاتٍ.

أولًا: ما اتفقت فيه الرِّسالة الثَّانية وروايتها من مقاصد.

يفصح النبي (ﷺ) في هذا المقصد عن بعض الأفعال التي تُمَيِّز المسلم عن غيره، والتي يجب أن يتحلَّى بها ويفعلها في حياته، وأولها الصَّلاة، وذلك في قوله(ﷺ): "فَمَنْ صَلَّى صَلاتَنَا"، حيث استأنف كلامًا جديدًا من خلال (فاء) الاستئناف، بينما في رواية القلقشندي بدأ مقصد الرِّسالة بفاء الجزاء – الواقعة في جواب أمَّا– مع التوكيد بـ "إنَّ" في قوله (ﷺ): "فإنَّ مَنْ صَلَّى صلاتَنَا".

ثم عبَّر(ﷺ) عن أهمية الصَّلاة من خلال التعبير بالجملة الشَّرطية المبتدأة بـ "مَنْ" الشَّرطية التي وقعت مبتدأ، ثم مجيء فعل الشَّرط "صَلَّى" فعلًا ماضيًا، إشارة إلى أن الصَّلاة قائمة وواقعة من المسلم لا محالة؛ لذلك عبَّر بالفعل الماضي دون المضارع، ثم أكَّد على كون المراد بالصَّلاة، الصَّلاة المعروفة والمعروضة على النبي(ﷺ) من خلال التعبير بالمصدر "صَلاتَنَا"، أي: صلاتنا دون غيرها، فعُرِّفت الصَّلاةُ من خلال إضافتها إلى ضمير الجمع، دلالة على تعظيم أمر الصَّلاة، وتفخيم شأنها، وإشارة إلى الحضِّ على آدائها في أوقاتها.

وإنَّما ابتدأ(ﷺ) بالصَّلاة؛ لكونها ثاني الأركان بعد الشهادتين، وقد ذَكَر(ﷺ) الشهادتين في الرِّسالة الأولى، وهنا يستكمل تلك الأركان، ولِعِظَم أمر الصَّلاة فُرِضت في السموات، فضلًا عن أنها عمادُ الدين، وأول ما يُحاسب عليه العبد.

ثم عُطفتْ على جملة فعل الشَّرط جملة أخرى بالواو في قوله(ﷺ): "واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنا"، فالعطف بين الجمل (للتوسط بين الكمالين)، ولاتفاق الجمل في الخبرية لفظًا ومعنى، وبينهما مناسبة، حيث عبَّر(ﷺ)عن تحقق جملة الشَّرط بالفعل الماضي "واسْتَقْبَلَ"، والتي هي شرط من شروط صحة الصَّلاة، والقبلة المرادة هي الكعبة المشرفة كما قال تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة: ١٤٤)، فعبَّر عن القبلة المرادة بالمصدر المضاف إلى ضمير الجمع (قِبْلَتَنا)، إشارة إلى التبرك والتيمن، فليس المراد استقبال أي قبلة، وإنما قبلتنا نحن المسلمين، التي أمرنا الله(ﷻ) بالتوجه نحوها.

كما أن في إضافة القبلة إلى نون الجمع "قِبْلَتَنا"، دلالة على تفخيم تلك القبلة، وتحقيق قدسيتها، وأنها تجاه بيت الله الحرام، فضلًا عمَّا يوحي به الجمع من التجمع والجماعة وخاصة في الصَّلاة، ففي الجمع قوة للمسلمين، ورهبة لعدوهم.

ثم عُطفتْ جملة أخرى على جملة فعل الشَّرط في قوله(ﷺ): "وأكَلَ ذَبِيحتَنا"، حيث عبَّر بالأكل الذي أحلَّه الله للمسلمين من الأنعام وغيرها، متى ذكر اسم الله عليه، كما قال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ (الأنعام: ١١٨)، وإنَّما خصَّ الأكل هنا؛ دلالة على أن اليهود كانوا يُحرِّمون أجزاءً من الأنعام دون أجزاء، كما قال تعالى﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

فضلًا عن وقوع الأكل على المصدر " ذَبِيحتَنا" التي تذبح على سنن الإسلام، ويحل أكلها، بخلاف التي لا تذبح وتقتل كالنَّطيحة والموقوذة والمتردية والنطيحة...، وهذا تشريع من النبي(ﷺ) للمنذر ببيان بعض أحكام الدين إجمالًا في بداية الدَّعوة.

ثم بعد أن ذَكرَ(ﷺ) هذه الجمل الشَّرطية التي تفصح عن تلك الأفعال التي يفعلها المسلم، جاء(ﷺ) بجواب الشَّرط المقرون بـ (فاء) الجزاء في قوله(ﷺ): "فَذَلِكَ المُسلِمُ"، أي: الذي يفعل ذلك فهو المُسلم، وما عداه ليس بمسلم.

كما أنَّ اسم الإشارة "ذلك" الذي يشار به للبعيد، يعود على ما ذُكر من شروط يجب أن يتحلَّى بها المسلم؛ لذلك أعقبها بالجواب في قوله: "فَذَلِكَ المُسلِمُ"، وإنَّما جاء باسم الإشارة الموضوع للبعيد، دلالة على بعد مكانة المُسلم، وعلو منزلته، فالتعريف باسم الإشارة للتفخيم وعُلوِّ المكان والمكانة.

وفي مجيء جملة الجواب جملة اسمية "فَذَلِكَ المُسلِمُ"، إشارة إلى ثبوت الوصف ودوامه مع صاحبه، حيث جاء البدل(المُسلِمُ) بصيغة اسم الفاعل، دلالة على ثبوت الوصف له بالإسلام طيلة حياته، لمن توافرت فيه أفعال الشَّرط الماضية.

ثانياً: ما انفردت به الرِّسالة الثَّانية وروايتها من وصفٍ للمسلم.

ففي الرِّسالة الثانية جاء بعد قوله(ﷺ):"فَذَلِكَ المُسلِمُ"، بالموصول وصلته التي تفصح عن حقوقه وواجباته في قوله(ﷺ): "الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا"، بينما جاء في رواية القلقشندي بعد قوله(ﷺ):"فَذَلِكَ المُسلِمُ"، ببيان كون هذا المسلم في ذمة الله وذمة رسوله(ﷺ)، وذلك في قوله(ﷺ):"لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول".

فالتعبير بوصفُ المُسلمِ ونعته بالموصول وصلته في الرِّسالة الثانية بقوله(ﷺ): "الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا"، دلَّ على الإفصاح عن حقوق المُسلم وواجباته، فالمسلم له حقوق وعليه أيضًا واجبات، فضلًا عن أن له عهد الله ورسوله، حيث قدَّم الجار والمجرور "لَهُ" على الاسم الموصول وصلته في "مَا لَنا"؛ دلالة على التخصيص، أي: للمسلم وحده دون غيره ما لنا، ولو قال: لنا ما له، لتوهم أن ما لنا له ولغيره، فالتقديم أفاد التخصيص، فضلًا عن الاهتمام بحق هذا المسلم الذي دخل في دين الله(ﷻ)، فقدم حقه على حق الجماعة المسلمة؛ اعتناءً واهتمامًا به.

كما دلَّ التعبير عمَّا للمسلمين من حقوق بـ "ما" الموصولة التي في محل رفع مبتدأ، والجار والمجرور "لنا" متعلق بمحذوف خبره، إشارة إلى تفخيم تلك الحقوق التي هي للمسلمين أنفسهم دون غيرهم، وأنها أمورٌ عظيمةٌ ينبغي الوقوف عليها.

وجملة "وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا"، معطوفة على ما قبلها بالواو، أي: الذي عليه ما علينا، فالمسلم كما أنَّ له حقوقًا، عليه أيضًا واجبات، من الفرائض والأحكام، والدِّفاع عن الوطن والمقدسات، وحماية الأهل والأعراض، وحقوق الجوار، وغير ذلك من الواجبات.

وفي تقديم الجار والمجرور "عَلَيهِ" الذي هو متعلق بخبر محذوف تقديره: كائن، على الموصول الذي هو مسند إليه "مَا"، ثم التعبير بالجار والمجرور "عَلَيْنَا"، دلالة على التخصيص، أي: هذه الواجبات على المسلم دون غيره، فهذه الجمل" لَهُ

مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا" بُنيت على أسلوب القصر؛ لأن النبي(ﷺ) هنا يفصل بين ما للمسلم وما لغيره، وأسلوب القصر هو الذي يحقق هذا الغرض في دقةٍ تُنَاسِبُ التشريعَ وفرضَ الأحكامِ.

وإنَّما قدَّم المسلم الذي دخل الإسلام في قوله(ﷺ): "لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا" على جماعة المسلمين، دلالة على تكريمه، والاهتمام به، وفيه إعلاءٌ لشأنه، فضلًا عن تخصيصه وتمييزه بهذا الأمر دون غيره ممن ظلَّ على شِركه.

كما قدَّم ما للمسلم من حقوق على ما عليه من واجبات، إشارة إلى التشويق والمسرَّة وعدم النَّفرة؛ لأن النفس مُحبّبٌ إليها ما لها من حقوقٍ، ومستثقلٌ ما عليها من واجباتٍ؛ لذلك بدأ النبي(ﷺ) بما لها من حقوق، وثَنَّى بما عليها من واجبات تجاه الدين والوطن، فضلًا عن مجيء اللون البديعي(المقابلة) بين جملتي: (لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا)، وما يخفى ما للمقابلة هنا من جرس صوتي، وتناسب بهي، وتوازن وترابط قوي بين الجمل المتقابلة.

فإن قلت: لِمَ ذُكرت الصَّلاة هنا واستقبال القبلة وأكل الذبائح، دون ذكر الشهادتين؟ قلت: إنما ذُكر ذلك هنا في الرِّسالة الثانية للمنذر؛ لأنها بمثابة استكمال للرِّسالة الأولى، وقد ذكر فيها النبي(ﷺ) الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم يستكمل(ﷺ) هنا أركان الإسلام، فبدأ بالصلاة بعد الشهادتين، وهذا من باب الإخبار عن أركان الدِّين واحدًا بعد الآخر، حتى لا يثقل ذلك عليهم، وخاصة أنهم قوم حديثو عهدٍ بالإسلام، فربَّما كان ذِكر الأركان جميعها في وقتٍ واحدٍ مُدعاة للثقل والتنفير من الدُّخول في الإسلام، فلا بد من التدرج في الدَّعوة وتعليم الناس فرائض الدِّين وأحكامه، فالنبي(ﷺ) كان مراعيًا حال المخاطب.

ثم جاء في رواية القلقشندي بعد قوله(ﷺ): "فَذَلِكَ المُسلِمُ"، بقوله(ﷺ): "لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول"، وهذا مما انفردت به رواية القلقشندي عن الرِّسالة الثانية، فهي من سمات تلك الرواية، وفيها تأكيد على أنَّ للمسلم عهد الله والرَّسول.

والذِّمَّةُ: "بمعنى العَهْد والأَمانِ والضَّمانِ والحُرْمَةِ والحق، وسُمِّيَ أَهل الذِّمَّةِ ذِمَّةً؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأَمانهم"(١)، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ٨)، حيث ذكر البقاعي في تفسير هذه الآية أنَّ المراد بالذِّمَّة هنا: العهد(٢).

فهذا المُسلم الذي صلَّى، واستقبل القبلة، واتبع شرائع الدِّين، وأكل من ذبائح المسلمين دون غيرها، له عهد الله وأمانه وحفظه، وكذلك له عهد الرَّسول(ﷺ)، وقدَّم الجار والمجرور على المسند إليه في قوله(ﷺ):"لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول"، دلالة على التخصيص، وهو تخصيص هذا العهد والأمان من الله ورسوله للمسلم دون غيره، فالتقديم أفاد التخصيص فضلًا عن التعيين للمخاطب، وتمييزه أكمل تمييز.

كما أنَّ في إضافة الذِّمة إلى اسم الجلالة "الله"، إشارة إلى تعظيم هذا العهد، وأنه ميثاقٌ غليظٌ، فضلًا عن تفخيم شأن المُسلم وتكريمه؛ لأن هذا العهد أضافه الحق إلى ذاته العلية، ثم أضاف النبي(ﷺ) أيضًا هذا العهد إلى نفسه الشريفة في قوله(ﷺ): "وَذِمَّةُ الرَّسول"، أي: له ذِمَّةُ الرَّسول، فهذه الإضافة تجعل المسلم مميزًا عن غيره، كما عُرِّف الرَّسول بـ (لام العهد)، أي: الرَّسول المعهود إلينا- وهو النبي محمد(ﷺ)-.

***

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ذ / م / م).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر/ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، المتوفى سنة (٨٨٥هـ - ١٤٨٠م)، (٣٨٤/٨)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، بدون.

المطلبُ الثالثُ: بيانُ ما اتفقت فيه الرِّسالتان من مقاصد.

المتأمل في رسالتي النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى يلحظ اشتراك الرِّسالتين في مقصد (فرضية الجزية) على غير المسلمين، فضلًا عن الاشتراك المعنوي بين جميع مقاصد الرِّسالتين في الدعوة إلى الله(ﷻ)، وهذا هو المقصد الأسمى، وفي المقام الأول بين تلك المقاصد المنصوص عليها داخل الرِّسالتين.

ومع اشترك الرِّسالتين في هذا المقصد، إلا أن هناك ثمة اختلاف في عرض هذا المقصد وطريقة نظمه، بالتعيين تارة لمن تؤخذ منهم الجزية(المجوس واليهود) كما في الرِّسالة الأولى، ويدخل النَّصارى في هذا التخصيص أيضًا؛ لأنهم أهل كتاب كاليهود، فما ينطبق على اليهود ينطبق على النَّصارى، ثم بالسُّكوت عمن تؤخذ منهم الجزية، والنَّصّ على مقدارها، وأنَّها دينار في الرِّسالة الثانية، بينما نصَّ على المجوس فقط في رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية، وغير ذلك من فروق في النَّظم بين الرِّسالتين في هذا المقصد، وهذا الاختلاف في العرض له بلاغته، وأنه سمة من سمات بيانه (ﷺ) في الرِّسالتين.

وفيما يلي عرض لنصوص فرضية الجزية داخل الرِّسالتين:

في الرِّسالة الأولى، قوله(ﷺ): "ومَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة فَعَلَيْهِ الجِزْيَةُ".

في الرِّسالة الثَّانية، قوله(ﷺ): "وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ".

في رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية، قوله(ﷺ): "فَمَنْ أحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإنَّهُ آمنٌ، وَمَنْ أبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ".

يُلحظ في الرِّسالة الأولى نصّ النبي(ﷺ) على من تؤخذ منهم الجزية، فذكر (المجوس واليهود)، وذلك في قوله(ﷺ): "ومَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة فَعَلَيْهِ الجِزْيَةُ".

فالنبي (ﷺ) يبيَّن للمنذر أمرَ من بقي على (المجوسيَّة أو اليهوديَّة) ولم يُسلم، ماذا يفعل به؟ فجاء قوله(ﷺ): "ومَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة فَعَلَيْهِ الجِزْيَةُ"، فهذه جملة معطوفة على ما قبلها بالواو(للتوسط بين الكمالين)، والاتفاق في الخبرية لفظًا ومعنى، حيث اشتملت على شرط وجوابه، أمَّا الشَّرط فهو "مَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة"، فَعَبَّر(ﷺ) بـ "مَنْ" الشَّرطية التي هي مبتدأ، ثم الإتيان بفعل الشَّرط فعلًا ماضيًا، فعبَّر عن بقاء المجوسي أو اليهودي بالفعل الماضي "أَقَامَ" الدال على وقوع الفعل منهم، كما يُلمح في بناء الفعل الماضي من غير الثلاثي "أَقَامَ" الدلالة على الرَّغبة في الإقامة والبقاء على تلك اليهودية أو المجوسية والثبات عليها؛ لأن الإقامة بمعنى الثبات وملازمة المكان، حيث ذكر ابن منظور " وقام عندهم الحق أي ثبت ولم يبرح، ومنه قولهم: أقام بالمكان، هو بمعنى الثبات"(١).

والمتأمل في قوله(ﷺ):"أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة"، يلحظ فيه الاستعارة (التصريحية التبعية) في حرف الجر "على" الذي يفيد الاستعلاء، فُشبِّه تَمَسُّك المجوس واليهود بمجوسيتهم ويهوديتهم باستعلاء الرَّاكب على مركوبه، بجامع التمكن والاستقرار، ثم استعير له الحرف الموضوع للاستعلاء على سبيل الاستعارة التبعية في الحرف، وهذه الاستعارة تفصح عن تمسُّك المجوس واليهود بعقائد آبائهم من قبلهم، وأنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون، وأنها عبادتهم الخالصة في نظرهم.

ويمكن أن تُحمل جملة "ومَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة" على (الاستعارة المكنية)، حيث شبَّه المجوسية واليهودية بشيء يُعلى عليه بجامع التمكن في كل، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "على" الدالُّ على الاستعلاء، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة شخصت المعقول في صورة محسوسة؛ لكون صورة المحسوس أقرب إلى العقل في استحضارها من المعقول؛ ولا يخفى ما

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ق / و / م).

في هذا التشخيص من جذب انتباه المخاطب، وتوسيع دائرة الخيال وإعمال العقل، فضلًا عن خطورة تلك القضية التي تنوه عليها تلك الجملة، والإفصاح عن مدى تمسك المجوس واليهود بعقائدهم.

ثم جاء الإفصاح عن جملة جواب الشَّرط في قوله(ﷺ): "فَعَلَيْهِ الجِزْيَةُ"، فالفاء فاء الجزاء، واقعة في جواب الشَّرط؛ لكون الجواب مسببًا عن الشَّرط، كما قُدِّم المسندُ على المسند إليه "فعَلَيْهِ الجِزْيَةُ"، لإفادة التخصيص، أي: أن الجزية على اليهودي والمجوسي لا على غيرهم من المسلمين، ويدخل النَّصارى في هذا التخصيص أيضًا؛ لأنهم أهل كتاب كاليهود، فما ينطبق على اليهود ينطبق على النصارى، وجملة الشَّرط والجزاء في محل رفع خبر المبتدأ (مَنْ).

وهناك رواية تنص على الجزية من المجوس فقط في تلك الرِّسالة، "ومَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّته فَعَلَيْهِ الجِزْيَةُ"[1]، ولا تعارض بين الروايات، فالأولى نصَّت على أخذ الجزية من المجوس واليهود، والثانية نصَّت على المجوس فقط؛ لكون اليهود أهل كتاب، فتأخذ منهم الجزية، أمَّا المجوس فتأخذ منهم الجزية بالسُّنَّة، لما روي " أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال عبد الرَّحمن بن عوف: أشهدُ لَسَمِعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: "سُنُّو بهم سُنَّةَ أهل الكتاب"[2]، وأهل الكتاب هم: اليهود والنَّصارى، فهذه علة النَّصِّ على المجوس فقط

---

(١) كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي، (٣٦٨/٦).

(٢) الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، (٢٨٧/١)، حديث رقم(٤٢)، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م، بدون، وينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف/ أبي عبيد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،(ت: ٦٧١هـ)، تحقيق، د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، (١٦٤/١٠)، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

في تلك الرواية، وهذا من باب التأكيد على المجوس؛ والروايات يكمل بعضها بعضًا، وفي النهاية يكتمل المعنى المراد من البيان النبوي الشريف، وهذا من سمات بيان النبوة في تلك الرسالة.

والجِزْيةُ "ما يؤخذ من أَهل الذِّمَّة والجمع الجِزَى... وهي عبارة عن المال الذي يَعْقِد الكتابيُّ عليه الذَّمَّة، وهي فِعْلَةٌ من الجَزاء، كأَنها جَزَتْ عن قتلِه"(١)، وهي مشروعة في الإسلام تؤخذ من غير المسلمين، وخاصة المجوس واليهود؛ جزاء بقائهم وسط المسلمين.

ثانياً: نصُّ النبي على مقدار الجزية في الرِّسالة الثانية، وذلك قوله(ﷺ): "وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ".

أفصح النبي(ﷺ) في الرِّسالة الأولى عمَّن تؤخذ منهم الجزية دون بيان قيمتها، ثم في الرِّسالة الثانية يفصح عن تلك القيمة، وأنها دينار على كل بالغ محتلم، وهذا من باب التخفيف في عرض أُمور الدين وتعاليم الإسلام، فالرِّسالة الثانية تكملة للأولى في هذا الأمر، وذلك في قوله(ﷺ): "وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ".

فالنبي(ﷺ) بعد ما بيَّن أمرَ المسلم الذي دخل في الإسلام، وفعل أفعال المسلمين، وأن له ما للمسلمين من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات، أفصح(ﷺ) عن أمر غير المسلم الذي بقي على مجوسيته أو يهوديته، وأنَّ عليه جزية يؤديها للمسلمين.

والمتأملُ في جملة الشَّرط وجوابه "وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ"، يلحظ تأكيدها بـ "مَنْ" الشَّرطية التي توحي بالتنبيه والاستيقاظ، ومجيء

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (ج /ز /ي)، بتصرف.

فعلها فعلًا مضارعًا مجزومًا بـ (لَمْ) التي هي حرف نفي وجزم وقلب، ثم التعبير بالمضارع "لَمْ يَفْعَلْ"، دلالة على نفي تجدد هذه الأفعال التي يفعلها المسلمون، وفيه إشارة إلى أنَّ الإسلام أفعالٌ يقوم بها المسلمون؛ لذلك كان على غير المسلم الذي لم يفعل أفعال المسلمين جزية.

ولَمَّا أفصحت جملة الشَّرط عن عدم دخولهم في الإسلام، جاءت جملة الجواب؛ لتبين شرع الله فيهم، وفرض الجزية عليهم، ومقدارها، وذلك في قوله(ﷺ): "فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ"، فالفاء فاء الجزاء رابطة بين الشَّرط وجوابه، و"عَليهِ" جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره: يلزمه، و"دِينَارٌ" مبتدأ مؤخَّر، وقُدِّم المسند على المسند إليه؛ لإفادة التخصيص، أي: عليه دينار لا على غيره، فالدينار يكون على غير المسلم البالغ المحتلم الذي بقي على مجوسيته أو يهوديته أو نصرانيته.

ثم أفصح النبي(ﷺ) عن قيمة هذا الدِّينار في أهل البحرين، وأنه من قيمة الثوب المعروف عندهم بـ (المَعَافِرِيّ)، وهو ثوب منسوب إلى اليمن، و"(المَعَافِرِيّ)، بفتح الميم والعين المهملة، وكسر الفاء، وتشديد الياء، قال التوربتشي: معافر علم، قبيلة من همدان... وإليهم تنسب الثياب المَعافريّة... قال ابن همام: المَعافريّ ثوب منسوب إلى معافر بن مرة، ثم صار اسمًا للثوب بلا نسبة"(١).

فالمَعافِريّ على ذلك نوع من الثياب مشهورٌ عندهم، فيكون الدِّينار الذي يؤخذ من كل بالغٍ بغرض الجزية مُقدَّر من قيمة هذا الثياب الذي اشتهر عندهم، فهو من غالب عملة البلد؛ لذلك قُيد (المسند إليه) بالجار والمجرور في قوله(ﷺ): "فَعَليهِ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة/ علي بن سلطان القاري، تقديم الشيخ/ خليل الميسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل العطار، (٦٠٧/٧)، بتصرف، دار الفكر بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافريّ"، إشارة إلى شهرة هذا الثياب "المَعَافريّ"، وذياع صيته، وتحديد العملة بقيمته.

والدَّليل على أن المراد بالمَعافِريّ نوع من الثياب ما رواه أبو داود "عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أنَّ النبي (ﷺ) لمَّا وجَّهَه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم- يعني: محتلم- دينارًا، أو عِدْلَهُ من المَعَافِر- ثياب تكون باليمن"(١).

وهذه الجزية بدلٌ عن قتلهم على قول الشافعي، أو عن قتالهم نصرة للمسلمين على حد قول صاحب مرقاة المفاتيح(٢)، وهذا الدِّينار الذي نصَّت عليه رسالة النبي(ﷺ) إلى المنذر، وحديث معاذ هو أقل الجزية على الفقير، والجزية على الغني أربعة دنانير، وعلى المتوسط ديناران، " قال القاضي: فيه دليلٌ على أن أقل الجزية دينارٌ، ويستوي فيه الغني والفقير؛ لأنَّه(ﷺ) عمّم الحكم ولم يفصل، وهو ظاهر مذهب الشافعي، وقال أبو حنيفة: يؤخذ من المُوسر أربعة دنانير، ومن المتوسط ديناران، ومن الفقير دينار، وسبق أن هذا هو المذهب، بل المستحب"(٣).

وفي رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية، قوله(ﷺ): "فَمَنْ أحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإنَّهُ آمنٌ، وَمَنْ أبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ".

حيث استأنف(ﷺ) جملة أخرى من خلال (فاء) الاستئناف، تفصح عن أحوال النَّاس في قبولهم الدُّخول في دين الله أو عدم دخولهم فيه، فمنهم من أحب ، ومنهم

---

(١) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوطي، ومحمد كامل، (٦٤٦/٤)، حديث رقم (٣٠٣٨)، دار الرسالة العالمية، بدون، وينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة/ علي بن سلطان القاري، (٦٠٦/٧).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة/ علي بن سلطان القاري، (٦٠٦/٧-٦٠٨).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة/ علي بن سلطان القاري، (٦٠٦/٧-٦٠٧).

من أبى وكره، وذلك في قوله(ﷺ): "فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإِنَّـهُ آمنٌ، وَمَنْ أَبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ".

فهذه جملٌ شرطية تفصح عن مآل الاختيار؛ لأنه لا إكراه في الدِّين، وأنَّه من أَحَبَّ الإسلام واعتنقه فهو آمن؛ لأنه في حفظ الله وعهده ورعايته، وله ما للمسلمين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات، وأن من رفض الدخول في الإسلام فعليه جزية يدفعها للمسلمين.

والمتأمل في جملة الشَّرط الأولى "فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإِنَّـهُ آمنٌ" يلحظ ذكر المجوس في تلك الرواية، ولم يذكر مستحقيها في الرِّسالة الثانية، حيث قال: "وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَليهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المُعَافريّ"، وربما ذَكَرَ النبي(ﷺ) المجوس في تلك الرواية من باب التأكيد؛ لأن الجزية على المجوس بالسُّنَّةِ، فهم مَسنُون بهم سنة أهل الكتاب، وهذه روايات يكمل بعضها بعضًا وصولًا إلى المعنى المراد من البيان النبوي الشريف.

كما جاء التأكيد على أمان وحفظ من دخل في دين الله(ﷻ) من خلال الابتداء بـ "مَنْ" الشَّرطية، والإتيان بفعل الشَّرط فعلًا ماضيًا، إشارة إلى أن المنذر عرض الاسلام عليهم، وأنَّ منهم من أَحَبَّه واعتنقه، ثم التعبير عمَّا سبق من ذكر بعض أسس الدين باسم الاشارة "ذلك"، أي: من أحبَّ الدخول في الإسلام من المجوس وفعل فعل المسلم.

ثم جاء جواب الشَّرط مُفصحًا عن مآله وأمانه بقوله: "فَإِنَّـهُ آمنٌ"، والأمان يكون للمسلم في الدنيا والآخرة -إن شاء الله- بشرط أن يسير على منهج الله، ودعوة رسوله(ﷺ)، فعبَّر بـ (فاء) الجزاء المقترنة بـ "إنَّ" واسمها، ثم جاء خبرها بصيغة اسم الفاعل "آمنٌ"، الذي يدل على ثبوت الوصف بالأمان ودوامه مع صاحبه.

واسم الفاعل "آمنٌ"، بمعنى مأمون، فيه عدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل، دلالة على المبالغة في أمنه وحفظه؛ لأنه في عهد الله وذمته، فكأنه هو

فاعل الأمن؛ لأنَّه فعل أسبابَ هذا الأمن- وهي دخوله في دين الله(ﷻ)-؛ لذلك عبَّر النبي(ﷺ) عنه بصيغة اسم الفاعل دون اسم المفعول، مبالغة في أمنه وأمانه.

ثم جاءت جملةُ الشَّرط الثانية مُفصحةً عن جزاء من بقي على كفره، وأنَّ عليه جزيةً يدفعها للمسلمين في قوله(ﷺ): "وَمَنْ أَبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ"، فهذه جملة شرطية معطوفة على ما قبلها (للتوسط بين الكمالين)، ولوجود مناسبة تُسوِّغ العطف، حيث عبَّر(ﷺ) عن فعل الشَّرط بالفعل الماضي "أَبَى" الذي بمعنى كَرِهَ[1]، أي: كره دخول الإسلام، وهنا طباق إيجاب بالتضاد بين "أحبَّ... وأبي" التي هي بمعنى (كره)، هذا الطِّباق له أبلغ الأثر في إثراء المعنى المراد، حيث جاء التعبير بالحُبِّ مع الدخول في الإسلام، بينما جاء التعبير بالإباء الذي بمعنى الكُرهِ مع البقاء على الكفر والشرك، فناسب كل لفظٍ سياقه.

كما جاءت جملةُ جواب الشَّرط مؤكدة على أمر من بقي على شركه، وأنَّ عليه جزية يدفعها للمسلمين في قوله(ﷺ): "فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ"، فهي جملة اسمية، مؤكدة بـ (إنَّ) مع تقديم خبرها على اسمها؛ دلالة على تأكيد وقوع الجزية على غير المسلم.

والمتأمل في جملتي "فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإِنَّهُ آمنٌ، وَمَنْ أَبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ"، يلحظ اللَّون البديعي (المقابلة) بين الجملتين، فهي مقابلة بين شرطين، وحب وإباء في دخول الإسلام، ثم التأكيد على الجواب بالأمان للمسلم، والجزية لغير المسلم، فبين الجملتين مقابلة، ولا يخفى ما لهذه المقابلة من أثر في السياق، وبيان مراد النبي(ﷺ) من كلامه، كما أن هذه المقابلة تُعتبر(ترشيحًا للطباق) وتقويةً له، حيث ازداد المعنى بهذا الترشيح وضوحًا، واكتسى الكلام به جمالًا وبهاءً.

***

(١) "أَبى الشيءَ يَأْباه إِباءً وإِباءَةً كَرِهَه " لسان العرب، لابن منظور، مادة: (أ / ب/ ي).

المبحثُ الثالثُ: بلاغةُ البيان النبوي في ختام رسالتيه(ﷺ)إلى المنذر.

المتأمل في رسالتي النبي(ﷺ) إلى المنذر يلحظ عدم الاتفاق في ختام الرِّسالتين من حيث الختام بالسِّلام، ففي الرِّسالة الأولى أسقط السَّلام من ختامها، بينما في الرِّسالة الثانية، أثبت السَّلام والرحمة والبركة، فضلًا عن الدِّعاء للمنذر بالغفران، بينما أسقط السَّلام من رواية الرِّسالة الثانية للقلقشندي.

والناظر إلى مجمل رسائل النبي(ﷺ) يجده يختتمها بالسَّلام والرَّحمة والبركة، أو بالسَّلام فقط، أو ربما أسقط السَّلام من أخرها، حيث "كان يختتم كتبه بالسَّلام تارة، فيقول في خطاب المسلم: والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته، وربما اقتصر على السَّلام، ويقول في خطاب الكافر: والسَّلام على من اتبع الهدى، وربما أسقط السَّلام من آخر كتبه"(١).

وهذا نصُّ ختام الرِّسالة الثانية من النبي (ﷺ) إلى المنذر بن ساوى:

"والسَّلامُ عَلَيْكُم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكاته، يَغفِرُ اللهُ لَك".

فالنبي(ﷺ) أثبت في ختام هذه الرِّسالة السِّلام على المنذر ومن معه من المسلمين، دون الرِّسالة الأولى، ودون رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية، وفي هذا دلالة على أن الرِّسالة الثانية جاءت استكمالًا للرِّسالة الأولى، فيما أراد النبي(ﷺ) أن يُعلمه للمنذر في هذا الوقت، من فرائض الدين وأحكامه، وأسسه التي قام عليها، وبيان ما يجب على المسلم فعله من الصلاة واستقبال القبلة والأكل من ذبائح المسلمين، لذلك قال(ﷺ) في هذه الرِّسالة بعد ذكر هذه الأفعال: "وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَلَيهِ دِينَارٌ مِنْ قِيمَةِ المَعَافِرِيّ، والسَّلامُ عَلَيْكُم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكاته، يَغفِرُ اللهُ لَك".

---

(١) كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي، (٦/٣٦٦).

فالنبي(ﷺ) بعد ما بيَّن(ﷺ) للمنذر الفرق بين المُسلم وغير المُسلم، وأن المُسلم هو الذي يصلي ويستقبل القبلة، ويأكل مما ذكر اسم الله عليه ما أُحلَّ للمسلمين، وأن غير المسلم الذي لا يفعل تلك الأفعال عليه جزيةٌ يدفعها للمسلمين، ختم رسالته(ﷺ) بالسَّلام على الجميع فقال: "والسَّلامُ عَلَيْكُم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكاته".

وهذا السَّلام من النبي(ﷺ) دعاءٌ بالسَّلامة، والأمن، والاطمئنان، والرَّحمة، والبركة من الله للمنذر ومن معه من المسلمين؛ حيث ولَّاه النبي(ﷺ) عليهم، يأمرهم بما أمره رسول الله من تعاليم وأحكام، ويحكم بينهم بالعدل، فضلًا عن ولايته أيضًا(ﷺ) للعلاء الحضرمي مع المنذر على أهل البحرين، فكان كل منهما له دوره الديني والسياسي.

كما اختتم النبي(ﷺ) رسالته بجملة السلام، وعبَّر عنها بالجملة الاسمية "والسَّلامُ عَلَيْكُم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكاته"، دلالة على ثبوت ودوام هذا السَّلام، والأمن، والدُّعاء، والرحمة، والبركات للمنذر ومن معه في كل زمان ومكان.

وفي نسخة مجموعة الوثائق حذف "عليكم... وبركاته" من جملة "والسَّلامُ عَلَيْكُم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكاته"؛ حيث اكتفى بـ(والسَّلامُ ورحمةُ اللهِ)[1]، وهذا الحذف للإيجاز، كما يمكن أن يدل هذا الحذف على جواز إرادة المنذر وحده بهذا السَّلام، بدليل الجملة التي بعد جملة السلام مباشرة (يَغفِرُ اللهُ لَك)، والتي خصَّ النبي(ﷺ) المنذر فيها بالدَّعاء؛ لأنَّ اللام في " لك" للتخصيص.

ويمكن أن يشمل هذا السَّلام المنذر ومن معه بدليل السَّلام على المنذر في بداية الرِّسالة، في قوله: (سَلامُ الله عَلَيْكَ) فقدم المسند على المسند إليه؛ لإرادة الدُّعاء بالسَّلامة، والأمان، والنَّجاة، والخير، والبركة له ولمن معه، ولو أراد النبي(ﷺ)

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، صـ ١٤٨.

تخصيص المنذر وحده بالسلام؛ لقدَّم المسند على المسند إليه فقال: (عليك سلام الله)، وهذا غير مراد.

ثم أعقب(ﷺ) جملة السلام التي هي جملة اسمية بجملة فعلية أخرى، دعا فيها النبي للمنذر بقوله(ﷺ): (يَغفِرُ اللهُ لَكَ)، وإنما عبَّر عن دعائه للمنذر بالغفران بالفعل المضارع، دلالة على تجدد غفران الله(ﷻ) له، وفي هذا إشارة إلى مدى رضى النبي(ﷺ) عن المنذر، وإعجابه به وبصنيعه، من حيث إجابته دعوة الإسلام، ثم دعوته أهل البحرين إلى الدخول فيه.

***

خـــاتـمـــةٌ

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدِّين، والصَّلاة والسَّلام على إمام المرسلين، هادي الناس إلى طريق رب العالمين، **وبعد**:

فبعد توفيق الله(ﷻ) وامتنانه لإتمام هذا العمل الذي نرجو به رحمة الله(ﷻ)، والذي جاء عنوانه: رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر بن ساوى بعد إسلامه "دراسةٌ بلاغيَّةٌ موازنةٌ"، خلص الباحث إلى عدة نتائج، منها ما يأتي:

أولًا: اتفقت رسالتا النبي(ﷺ) إلى المنذر في الاستهلال بالبسملة، والنصِّ على المُرْسِل والمُرْسَل إليه، والسَّلام على المنذر ومن معه، ثم الحمد لله والثَّناء عليه؛ تيمنًا وتبركًا.

ثانيًا: انفردت الرِّسالة الأولى في الاستهلال بالنَّصِّ على الشهادتين بعد الاستهلال المذكور دون الرِّسالة الثانية؛ لأن الشهادتين أول أركان الإسلام، وفي ذلك إشارة إلى أن هذه الرِّسالة أول رسالة أرسلها النبي(ﷺ) إلى المنذر بعد إسلامه، فكان لابد من النَّصِّ فيها على الشهادتين، كما انفردت رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية بالابتداء بالسَّلام مباشرة دون ذكر البسملة، ودون النَّصِّ على المُرْسِل والمُرْسَل إليه؛ لأنها استكمال للرِّسالة الأولى، فربما ذِكْر هذه الأمور في الرِّسالة الأولى أغنى عن ذِكره في رواية الرِّسالة الثانية، فابتدأت تلك الرواية بالسَّلام مباشرة.

ثالثًا: انفردت الرِّسالة الأولى بأربعة مقاصد: الأول: التذكيرُ بالله(ﷻ)، والثاني: التأكيد على قضية النُّصح والطَّاعة للرُّسل، والثالث: تكريمُ المنذر وتوليته إمارة المسلمين في البحرين، والرابع: بيانُ أمر مَنْ أسلم من أهل البحرين، بينما انفردت الرِّسالة الثانية بمقصدين: الأولُ: التأكيد على وصول كتاب المنذر إلى النبي(ﷺ)، والثاني: بيانُ أفعال المُسلم وحقوقه.

رابعًا: أيضًا هناك اتفاق وانفراد داخل الرِّسالة الثانية وروايتها للقلقشندي في

مقاصد الرِّسالة، حيث اتفقت الرِّسالة الثانية مع روايتها في قوله: "مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأكَلَ ذَبِيحتَنا، فَذَلِكَ المُسلِمُ"، وانفردت الرِّسالة الثانية بجملة "الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا"، بينما انفردت رواية القلقشندي بجملة "لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول"، فهذا الاتفاق والانفراد في الرِّسالة وروايتها فيه من البلاغة والأسرار ما فيه، فضلًا عن أنَّه من سمات بيان النبوة في تلك الرِّسالة وروايتها.

خامساً: اتفقت الرِّسالتان في فرضية الجزية، مع الاختلاف في عرض تلك القضية في الرِّسالتين، فاختصت الرِّسالة الأولى بالنَّصِّ على من تؤخذ منهم الجزية، وهم (المجوس واليهود)، ويدخل النصارى ضمن اليهود؛ لكونهم أهل كتاب، بينما اختصت الرِّسالة الثانية بالنَّصِّ على مقدار الجزية، وأنها دينار من قيمة المعافري، فكلا الرِّسالتين يكمل بعضها بعضا في الإبانة عمن تؤخذ منهم الجزية، ومقدارها.

سادساً: انفردت الرِّسالة الثانية بالسَّلام في نهايتها دون الرِّسالة الأولى، وذلك راجع إلى أنَّ الرِّسالة الثانية استكمال للرِّسالة الأولى، فيما أراد النبي(ﷺ) أن يُعلمه للمنذر في هذا الوقت من فرائض الدين وأحكامه، وأسسه التي قام عليها؛ لذلك لم تُختتم الرِّسالة الأولى بالسَّلام واختُتمت به الثانية، ثم أعقبها بجملة دعائية خصَّ فيها المنذر بالدُّعاء، بقوله(ﷺ): "يَغفِرُ اللهُ لَك"، دلالة على مدى رضى النبي(ﷺ) عن المنذر، وإعجابه به وبصنيعه.

سابعاً: غلب على الرِّسالتين التعبير بأسلوب الشَّرط وجوابه المقرون بالفاء التي جعلت الجواب مُسببًا عن الشَّرط، فالتعبير بالجمل الشَّرطية له وقع في النَّفس؛ لاشتمال جملة الشَّرط على التشويق، ودلالتها على ترقب المخاطب للجواب، فالتعبير بالجمل الشَّرطية مع اقترانها بالفاء نوع من التأكيد الذي يفصح عن حقيقة القضية المطروحة، ويُبِينُ عن فضلها ومزيتها، حيث ورد التعبير بجملة الشَّرط وجوابه في (ثمانية عشر) موطنًا، اختصت الرِّسالة الأولى بـ (سبعة مواطن)، والرِّسالة الثانية بـ (خمسة) مواطن، ورواية الرِّسالة الثانية بـ (ستة) مواطن، وكثرة أسلوب الشرط في

الرِّسالتين يوحي بقوة الجملة الشَّرطية وتأكيدها، وهذا التأكيد ينعكس على ما تخبر به تلك الجملة من أمورٍ، كالتأكيد على قضية النُّصح واتباع الرُّسل، والتنبيه على فرضية الجزية، فضلًا عن التأكيد على أمر الصَّلاة واستقبال القبلة، والأكل من ذبائح المسلمين، وأنَّ على غير المسلم دينار.

ثامناً: ورد المجاز العقلي داخل الرِّسالتين في موطنين: الموطن الأول في الرِّسالة الأولى في قوله(ﷺ): "ويَتَّبِعْ أمرَهُم"، حيث جعل الأمر مطاعًا على سبيل المجاز العقلي، والموطن الآخر في الرِّسالة الثانية " فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي"، حيث أسند المجيء إلى الكتاب دون الرَّسول الذي جاء به؛ إشارة إلى سرعة وصول الكتاب إلى النبي(ﷺ)، فالبيان النبوي لم يعتمد على المجاز كليًّا؛ لقيام المجاز في الغالب على المبالغة والتخييل، ورسائل النبي(ﷺ) إلى المسلمين الجدد فيها تأكيد على الدَّعوة والإقناع، من خلال بيان بعض أركان الإسلام، وأسسه التي يقوم عليها، فالمجاز العقلي ورد في الرِّسالتين دون تكلُّف أو غموض، والسِّياق هو الذي استدعاه.

تاسعاً: جاء تعريف المسند إليه بالموصولية في ثلاثة مواطن، موطن في الرِّسالة الأولى، "فاترُكْ لِلمسلمِينَ مَا أسلَمُوا عَليه"، وموطنين في الرِّسالة الثانية، "الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا"، فالتعريف بالموصولية دلَّ على التفخيم والتكريم، كما عُرِّف المسند إليه باسم الإشارة في موطن واحد في الرِّسالة الثانية "فَذَلِكَ المُسلِمُ"، إشارة إلى تمييزه أكمل تمييز، فضلًا عن تعريف المسند إليه بالإضافة في موطنين في رواية الرِّسالة الثانية "لَه ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسول"، فالإضافة أفادت المضاف تشريفًا وتعظيمًا.

عاشراً: ورد تقديم الجار والمجرور على المسند إليه أو المفعول في الرِّسالتين لغرض التخصيص في (أحد عشر) موطنًا، (ثلاثة) مواطن في الرِّسالة الأولى، و(أربعة) في الرِّسالة الثانية، وأيضًا (أربعة) في رواية القلقشندي للرِّسالة الثانية، وهذا التقديم يفيد التخصيص ولا يفيد العموم ، كما في قوله(ﷺ): (وإنَّ رُسُلِي

قَدْ أَثْنَوْا عَليكَ خَيْرًا)، دلَّ تقديم الجار والمجرور على المفعول هنا على تخصيص المنذر بالثناء من الرُّسل، دون غيره، ولو قال(ﷺ): (أثنوا خيرًا عليك)؛ لتوهم أنهم أثنوا خيرًا عليه وعلى غيره، وهذا غير مراد.

حادي عشر: ورد أسلوب القصر في الرِّسالتين في (أربعة) مواطن، (ثلاثة) في الرِّسالة الأولى، بطريق النفي والاستثناء في موطنين "فإنِّي أَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلَّا هُو"، " وأشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ"، وموطن بطريق إنَّما في قوله: "فإنَّما يَنْصحُ لِنَفْسِه"، بينما جاء في الرِّسالة الثانية في موطن واحد "اللهَ الَّذي لَا إلهَ إلَّا هُو"، ومعلوم أنَّ جملة القصر في مقام جملتين في التأكيد: أحدهما مثبته، والأخرى منفية، وكل جملة لها بلاغتها في سياقها وموطنها داخل الرِّسالة.

ثاني عشر: لَمْ تَنَلْ الأساليب الإنشائية مرتبة عالية داخل الرِّسالتين، حيث عبَّر (ﷺ) بالأسلوب الإنشائي (فعل الأمر) في موطنين في الرِّسالة الأولى، "فاترُكْ لِلمسلمِينَ مَا أسلَمُوا عَليه"، "وَعَفوتُ عَنْ أَهلِ الذُّنُوبِ فَاقبَل مِنْهُم"، والأمر هنا على حقيقته في طلب حصول الفعل(الترك، والقبول)، وهذا يدل على سماحة الدين، ورحمة النبي(ﷺ) بأمته.

ثالث عشر: غَلَبَ على الرِّسالتين الرَّبط بين أجزاء الجمل بأسلوب (الفصل والوصل)، وخاصة الربط بـ (الواو والفاء)، فالواو وقعت بين الجمل لتعطف بعضها على بعض، كما في جملة "وأشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا عَبْدُه ورسولُه"، أو للاستئناف بحكم جديد، والفاء جاءت للربط بين جملة فعل الشَّرط وجوابه، فضلًا عن ورودها استئنافية.

رابع عشر: وردت الاستعارة في (ثلاثة) مواطن في الرِّسالتين، موطنين في الرِّسالة الأولى، وهي استعارة تبعية في الفعل، كما في قوله(ﷺ): "وإنِّي قَدْ شَفَّعتُكَ فِي قَومِكَ"، وتبعية في الحرف، كما في قوله(ﷺ): "ومَنْ أَقَامَ على مَجُوسيَّة أو يهوديَّة"، وموطن واحد في الرِّسالة الثانية في قوله(ﷺ): "فَإنَّ كِتَابَكَ جاءَنِي"، حيث احتمل أن

يكون استعارة مكنية، وهو في الأصل مجاز عقلي علاقته (المفعولية)، ولا تعارض بين إجراء الاستعارة والمجاز العقلي، فالنكات البلاغية تتزاحم ولا تتعارض، حيث لم تعتمد الرِّسالتان على الاستعارة إلا في القليل؛ لعدم توسيع دائرة الخيال والمبالغة في التصوير، والاعتماد على الحقيقة التي لا تأويل فيها.

خامس عشر: ورد الطباق في (ثلاثة) مواطن: موطنين مكررين في بداية الرِّسالتين، "مِنْ مُحمدٍ رسولِ اللهِ إلى المُنْذر بِن ساوى"، فالطباق بين حرف الجر "من" و"إلى"، دلَّ على ابتداء الغاية وانتهائها في تحديد المُرسِل والمُرسَل إليه، وموطن آخر في رواية القلقشندي "فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإِنَّهُ آمنٌ، وَمَنْ أَبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ"، فالطباق بين "أحبَّ... وأبي" التي هي بمعنى (كره)، هذا الطِّباق له أبلغ الأثر في إثراء المعنى المراد داخل السياق.

سادس عشر: كما وردت المقابلة في موطنين: الأول في الرِّسالة الثانية، "فَذَلِكَ المُسلِمُ الَّذي لَهُ مَا لَنا، وعَلَيهِ مَا عَلَيْنَا"، والثاني في رواية القلقشندي، "فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنْ المجُوس فَإِنَّهُ آمنٌ، وَمَنْ أَبَى فإنَّ عَليهِ الجِزيَةَ"، ولا يخفى ما للمقابلة من أثر في السياق، وبيان مراد النبي(ﷺ) من كلامه، كما أن هذه المقابلة تُعتبر(ترشيحًا للطباق) وتقويةً له، حيث ازداد المعنى بهذا الترشيح وضوحًا، واكتسى الكلام به جمالًا وبهاءً.

سابع عشر: كان لتنوع الرِّوايات أبلغ الأثر في إثراء المعنى المراد، فهذه الرِّوايات تتلاقى في معناها لِتُكوِّن صورةً كلية بجملٍ مختلفةٍ.

ثامن عشر: ختم النبي (ﷺ) رسائله بخاتم النبوة، مكتوب فيه (محمدٌ رسولُ الله).

التوصيات

يوصي البحث بدراسة رسائل النبي(ﷺ) إلى المسلمين الذين أسلموا، حيث

يستوي في ذلك الرَّسائل التي أرسلها النبي(ﷺ) إلى الصحابة الذين أرسلهم لفتح البلدان بعدما بشروه بالفتح، وإسلام أهلها، أو الرِّسائل التي أرسلها النبي(ﷺ) إلى زعماء القبائل والبلدان بعدما أسلموا، حيث يوضح فيها(ﷺ) أمور الدِّين، وأركانه، وما يقوم عليه من فرائض وأحكام، كالشهادتين، والصَّلاة، والزَّكاة وغير ذلك.

***

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**.

١- الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، د/ محمود موسى حمدان، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢- الأدب العربي في الأندلس، لعبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت، ط الثانية ١٩٧٦م.

٣- الأدب والأنواع الأدبية، مجموعة من الأساتذة، ترجمة: طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة- دمشق، ط الأولى ١٩٨٥.

٤- أساليب القصر في القرآن الكريم، د/ صبَّاح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، ط الأولى، بدون.

٥-أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام عز الدين علي بن محمد الجذري، المعروف بابن الأثير(٥٥٥-٦٣٠هـ)، دار ابن حزم، ط الأولى ١٤٣٣هـ- ٢٠٠١م).

٦-الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٧- إعراب القرآن الكريم، د/ محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، بدون.

٨-إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، للإمام محمد بن طولون الدمشقي(٨٨٠-٩٥٣هـ)، راجعه/ عبد القادر الأرنؤوطي، وحققه/ محمود الأرنؤوطي، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٧م.

٩-آل حم(غافر - فصلت) دراسة في أسرار البيان، للأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٠-البحرين في صدر الإسلام، د/ عبد الرحمن عبد الكريم العاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، ط الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١١- بدائع الفوائد، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، خرج أحاديثه/ أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، ط الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٢- تاريخ الأدب العرب، (العصر الإسلامي)، د شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط السابعة ١٩٦٣م.

١٣- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، د/ شوقي ضيف، دار المعارف، ط السادسة عشرة، بدون.

١٤- التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط الثامنة١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٥- تاريخ الأمم والملوك(تاريخ الطبري) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(٢٢٤-٣١٠هـ) اعتنى به/ أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية بدون.

١٦- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، د/ محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت – لبنان، ط الثانية ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٧- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق- سورية، ط الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٨- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف/ أبي عبيد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،(ت: ٦٧١هـ)، تحقيق، د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٩-جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، لأحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت- لبنان، بدون.

٢٠-الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف/ الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د/ فخر الدين قباوة، أ/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٢م.

٢١- الحديث النبوي، طرقه وأغراضه، د/ بسيوني فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٣م.

٢٢- دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٢٣-الرِّسالة الكبرى في البسملة، محمد علي الصبان، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، حبيب يحيى المير، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢٤-الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام عبد الرحمن السهيلي(٥٠٨-٥٨١هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، بدون.

٢٥- سفراء النبي(ﷺ)، تأليف/ محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء، ط الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م

٢٦- سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني(٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوطي، ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، بدون.

٢٧-السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي،(ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط الثانية ١٤٢٧هـ.

٢٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، بدون.

٢٩- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري(١٩٤-٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٠- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر- بيروت، بدون

٣١-عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، د/ محمد آمين شاكر، والشيخ/ عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم -دمشق، بدون.

٣٢- فتوح البلدان، للبلاذي، مكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م.

٣٣-الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، (ت ٤٠٠هـ)، تعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط الثالثة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٤-الكامل في التاريخ(تاريخ ابن الأثير)، للإمام عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني، الشهير بابن الأثير(٥٥٥-٦٣٠هـ)، اعتنى به/ أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية بدون.

٣٥- كتاب صبح الأعشى، تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٣هـ- ١٩١٥م، بدون.

٣٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ت: ٤٦٧-٥٣٨هـ)، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة -بيروت، ط الثالثة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣٧- لسان العرب، للإمام أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت، ط الأولى، بدون.

٣٨- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها: محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة/ علي بن سلطان القاري، تقديم الشيخ/ خليل الميسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٤٠- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان -بيروت، ط الثانية ١٩٨٤م.

٤١- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون.

٤٢- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت- لبنان، بدون.

٤٣- مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، د/ مصطفى البشير قط، دار الليازوري العلمية الأردن- عمان، الطبعة العربية ٢٠٠٩م.

٤٤- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، تحقيق: محمود بيجو، مطبعة الصباح، ط الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط الثانية ١٣٩٢هـ.

٤٦- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م، بدون.

٤٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر/ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، المتوفى سنة (٨٨٥هـ - ١٤٨٠م)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، بدون.

الرَّسائل العلمية والمجلات

٤٨- رسائل النبي(ﷺ) إلى الملوك والأمراء " دراسة بلاغية"، د/ محمد مصطفى ليله، مجلة الزهراء، العدد الثلاثون.

٤٩- السمات الأسلوبية في رسائل النبي(ﷺ) " رسالتي هرقل وكسرى أنموذجًا"

رسالة ماجستير من جامعة زيان عاشور الجلفة، كلية الآداب واللغات والفنون- قسم اللغة العربية وآدابها ، عام ٢٠١٧م.

٥٠- من بلاغة النبي(ﷺ) في رسائله إلى الملوك والأمراء" يدعوهم إلى الإسلام" ، أ.د/ طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوه، العدد الأول لحولية كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان.

***